

الإسلام وحضارته  
فى وسط أفريقيا

سلطنة البولا

دكتور

عبد الفتاح مقلد الغنيمى

الناشر

مكتبة مدبولى



الإسلام وحضارته  
فى وسط أفريقيا  
مطبعة البولالا

الطبعة الأولى

١٩٩٦م

مكتبة مدبولي

٦ ميدان طلعت حرب

ت: ٥٧٥٢٨٥٤

**بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ**



## فهرس الموضوعات

الصفحة

الموضوع

- ٩ ..... \* الإهداء
- ١١ ..... \* التمهيد
- ١٣ ..... \* المقدمة
- ١٧ ..... \* الباب الأول : قبائل البولالا
- ١٩ ..... الأصول العرقية والصلات الأسرية - عاقاتهم العرقية مع حكام الكانم
- ٢٥ ..... \* الباب الثاني : تأسيس السلطنة واتساعها وانتشار الإسلام
- ٢٧ ..... الإسلام ودوره فى ظهور السلطنة
- ٣٧ ..... \* الباب الثالث : الصراع ضد الكانم والرحيل غرب بحيرة تشاد
- ٣٩ ..... شعب سلطنة البرنو والصراع مع البولالا
- ٤٧ ..... تغير ميزان القوى لصالح شعب البرنو
- ٤٨ ..... استعادة الكانم من سيطرة البولالا
- ٥٧ ..... \* الباب الرابع : الأحوال العامة فى السلطنة
- ٥٩ ..... الزراعة ، الرعى ، الصناعة ، التجارة
- ٦٧ ..... طريق طرابلس - فزان - زويلة - كوار - بلما - البولالا
- ٧٥ ..... \* الباب الخامس : الحياة الفكرية والثقافية والعلمية
- ٧٧ ..... مظاهر الحضارة الإسلامية العربية
- ٨٩ ..... \* الباب السادس : علاقة البولالا بالعالم الإسلامى
- ٩١ ..... العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية مع مصر
- ١٠٥ ..... العلاقات مع طرابلس وتونس وبلاد المغرب وبقية العالم الإسلامى
- ١٠٧ ..... \* الباب السابع : سقوط ونهاية سلطنة البولالا
- ١٠٩ ..... العوامل التى أدت إلى سقوط الدولة

١١٤	..... سلطنة رايح الزبير الإسلامية
١١٩	..... * الخاتمة
١٣٣	..... قائمة المصادر والمراجع



## الإهداء

إلى أمي

وعاء الأمن والأمان ... صدر الحنان ... وحجر الزمان ... ينبوع العطاء  
الفياض .. مفتاح الجنة .. وقبلة قوادس .. وكعبة الأمان .. وحلم  
أيامس .. قيم القيم .. درس العادات والتقاليد .. وبرهان الأعراف  
والمبادئ .. من وقفت خلف أبي رحمة الله عليه تدفعه إلى مواصلة  
المسيرة وتشد من أزره خلال درب الحياة فكانت نعم الأم ،،

عبد الفتاح مقلد

شعبان ١٤١٦ هـ

يناير ١٩٩٦ م



## تهدية

الإسلام في حركته الامتدادية الواسعة والعميقة إنطلاقاً من الجزيرة العربية مباشرة البشرية برسائله الخالدة والباقية بقاء الزمن والراسخة رسوخ الجبال في قلوب المسلمين وغيرهم الذين يتطلعون لمعرفة حقيقة وجوه القرآن الكريم الذى استطاع أن يصل إلى آفاق بعيدة من الأقطار فى القارة الآسيوية والإفريقية والأوربية حاملاً مشعل الحضارة والرقى والتقدم مخلصاً الإنسانية من عبادة الطاغوث والإفراد والحكام والملوك هادياً لهم إلى عبادة الخالق الواحد الأحد الذى يساوى بين البشرية بأجناسها واللوانها ولغاتنا العديدة عاملاً على الآخذ بيدها من حالة البدائية كما كان فى أوروبا فى القرن التاسع الميلادى وقلب القارة الإفريقية وبلاد جنوب شرق آسيا .

ومن المناطق التى وصلت إليها الراية الإسلامية مندفعاً بعامل الأخوة الإنسانية تلك المنطقة التى تقدمها للقارئ فى وسط القارة الأفريقية جنوب الصحراء الكبرى حيث منطقة السفانا الممتدة من ساحل البحر الأحمر إلى المحيط الأطلسى . حيث إستطاعت حركة القبائل العربية المهاجرة الى القرب من بحيرة تشاد أو بحيرة فترى أن تكون بالاختلاط مع القبائل الوطنية بعد اعتنقها للدين الإسلامى أن تكون دولة البولالا التى تعتبر من الدول طويلة العمر حيث استمرت قائمة بالحكم فى تلك المنطقة طوال ستة قرون متصلة حتى سقوطها أمام الزحف الفرنسى الإستعمارى القادم من الشمال والغرب حيث بلاد المغرب العربى وبلاد غرب القارة الإفريقية للسيطرة على هذه المنطقة واضعاً أياها تحت نفوذه ولقطع الصلة بينها وبين جيرانها من بلاد السودان وليبيا وتونس والجزائر ومصر .

وهكذا قدر لهذه الدولة الإسلامية كغيرها من الدولات الإسلامية فى منطقة السفانا أن تخضع للنفوذ الإستعمارى الغربى الذى عمل كل ما إستطاع أن يعمل له لى ياعد بين هذه الشعوب وبين حضارتها الإسلامية العربية الراقية واضعاً القيود على علاقاتها ومحدد أهدافه فى نشر لغته الفرنسية وثقافته وحضارة الغربية لى تكون تلك المناطق فى القارة

الأفريقية ركائز لها يستطيع أن يعيق منها حركة إمتداد الحضارة الإسلامية والدور الإسلامى مرة أخرى عاملاً على نشر تعاليمه المسيحية بين شعوبه ضارباً اللغة العربية لغة القرآن الكريم لتحقيق الهدف الطويل فى طرب حضارة الإسلام من كل ركن من أركان العالم حيث توجد رعية إسلامية ولكن أحلامه فى تحقيق ذلك لن تكون إلا سرايا فعقيدة القرآن والإسلام قادرة على الصمود والتصدى من خلال الميراث الروحى الإلهى الخالد .

يناير ١٩٩٦

دكتور

عبد الفتاح مقلد الغنيمى

## بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الهادى البشير ، سيدنا محمد بن عبد اله النبى الخاتم وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين أما بعد فذلك هى دراسة عن سلطنة البولالا الإسلامية التى هى إحدى سلطنات السودان الأوسط والتى ظهرت على مسرح الأحداث السياسية كسلطنة إسلامية وقوة سياسية وعسكرية منذ القرن الرابع عشر الميلادى ( الثامن الهجرى وظلت كذلك تمارس دورها على مسرح الأحداث فى تلك المنطقة حتى الربع الأول من القرن العشرين الحالى ، الرابع عشر الهجرى وقد تكون هذه السلطنة هى أطول السلطنات الإسلامية فى منطقة السودان ( الشرقى - الأوسط - الغربى ) عمرا حيث توارث عرشها أبناء سلاطين البولالا والذى استمر ما يقرب من ستة قرون متواصلة . وقد أردت بتلك الدراسة القاء الضوء على صفحة مطوية من صفحات التاريخ الإسلامى فى السودان الأوسط حيث لم يسبق التعرض لدراسة تلك السلطنة من الكتاب والمؤرخين الأجانب وكذلك المؤرخين العرب والمسلمين وقد تكون لكل هؤلاء أعذارهم فى عدم الخوض فى تفاصيل دراسة تلك السلطنة حيث أن تاريخها كان يتتبعه نوع من الغموض وعدم الوضوح ، لكن بعون الله العلى القدير استطعت أن أقدم تلك الدراسة التى أرجو أن تكون بداية للمتهيمن بدراسة التاريخ الأفريقى الإسلامى لاسيما أن الكثير من الأخوة الباحثين بعزف عن الخوض فى دراسة مناطق السودان الأوسط والسودان الغربى .

وقد قسمت تلك الدراسة إلى سبعة أبواب رئيسية تناولت بالدراسة والبحث فى الباب الأول وتحدثت فيه عن قبائل البولالا وأصولهم العرقية والآراء التى ذكرت فى ذلك المضمار وصلاتهم بأبناء عمومتهم حكام كاتم من الأسرة السيفية وكيف تحالفت تلك القبائل مع غيرها من القبائل الأخرى سواء أكانت قبائل عربية أو بربرية أو زنجية وذلك لتأسيس وتكوين دولة لهم وكان الباب الثانى عن تأسيس دولة البولالا واتساعها . وكيف ظهرت فى تلك المنطقة السلطنة الإسلامية حول بحيرة فترى وبالقرب من نهر ياء You وكيف سميت سلطنة جاجو GaoGo وكيف ظهر سلاطينهم كقوة مؤثرة فى منطقة السودان الأوسط وكيف بسطوا نفوذهم على ابناء عمومتهم فى كاتم وكيف كانت مدينة ماسيا عاصمة أولية لهم ثم نقلوا مقر حكمهم إلى مدينة ابا كالا وكيف توسعوا فى تلك المنطقة المحيطة ببحيرة فترى وقامت سلطنتهم فى ذلك الجزء من السودان الأسط والسيطرة على مناطق واسعة

حتى غدت سلطنتهم من أكبر سلطنات تلك المناطق بالقياس إلى سلطنة واداي وياجرمي التي كانت أجزاء من سلطنة البولالا في القرن الرابع عشر الميلادي وما هم السلاطين الذين تولوا حكم تلك السلطنة .

أما بالنسبة للباب الثالث فهو عن الصراع ضد سلطنة الكاتم وكيف ظهر الصراع بين أبناء العمومة منذ بداية تولي السلطان الأكبر عبد الجليل أوجل سيكوبامي وطرده السلطان عمر بن عثمان بن إدريس سلطان كاتم من العاصمة نجيمي ونقل مقر السلطنة إمن نجيمي إلى برنو واستمرار الصراع لفترة تزيد عن قرنين من الزمان ثم كيف بدأ شعب البرنو وسلاطينهم يفكرون في استرجاع املاك اجدادهم وكيف تغير ميزان القوى لصالح برنو وسلاطينهم وثم استعاده كاتم نهائيًا من البولالا .

ثم كان الباب الرابع عن الأحوال العامة بدولة البولالا حيث تحدثت عن المظاهر الإقتصادية والموارد الزراعية والنباتية بالبلاد واشتغال الأهالي بحرفة الزراعة والرعي وصيد الأسماك وما هي الحيوانات التي كانوا يهتمون بتربيتها وكيف اهتموا بتربية الخيول عماد قوتهم العسكرية ، وما هي الحرف الصناعية التي كانت عندهم مثل بناء السفن والقوارب وصناعة الحديد والفخار وكيف استفادت من ذلك الموقع الجغرافي في تنمية موارد الدولة وكيف لعب الطريق الصحراوي المؤدى إلى طرابلس - فزان - زويلة - كوار - بلما إلى زيادة الحركة الإقتصادية في البلاد وكيف أفردت جزءا كبيرا في ذلك الباب للحديث عن ذلك الطريق ودوره التجارى وتحدثت عن المواد التي كان يتم التعامل بها كالحرذ والنحاس والقماش وقطع الملح وغيرها من المواد التي يتعارف عليها كعملة سائدة في البلاد .

ثم كان الباب الخامس في تلك الدراسة عن الحياة العلمية والثقافية والفكرية في البلاد وكيف أنه كانت توجد بها حركة علمية وفكرية إسلامية وكيف انتشرت بها اللغة العربية وظهرت بها مراكز حضارية لكنها لم تصل إلى درجة المراكز العلمية في السودان الغربى كتمبكتو وجنى وجاو وولاته وغيرها من السلطنات الإسلامية والمراكز الإسلامية الأخرى وذلك لغلبة طابع البداوة على السكان واشتغالهم بالقتال والفنون العسكرية لكن تلك السلطنة قد طبعت بالطابع العربى الإسلامى شأنها شأن غيرها من سلطنات السودان الأوسط والسودان الغربى وكيف أشار إلى ذلك الحسن الوزان حيث شاهد بنفسه تلك المظاهر الحضارية الإسلامية ومدى تشجيع السلاطين لها وكيف كان فرض النفوذ السياسى على كاتم فرصة طيبة لتعميق وتوسيع حركة المد الإسلامى وانتشار مظاهر الحضارة العربية الإسلامية وثقافتها.

وكان الباب السادس عن علاقة البولالا بالعالم الإسلامى وفيه ركزت على دور مصر السياسى والثقافى والإقتصادى باعتبار أن مصر هى القوة الأساسية والرئيسية فى العالم

الإسلامى منذ القرن الثامن الهجرى حتى القرن العاشر الهجرى ، الرابع عشر الميلادى - السادس عشر الميلادى وكيف مارست مصر أدوارها المختلفة مع تلك السلطنة وكذلك أشرت إلى علاقة البولالا بطرابلس وفزان وزويلة وتونس وبقيّة انحاء العالم الإسلامى كالسودان الشرقى وبقيّة أقطار السودان الأوسط والغربى .

ثم كان الباب السابع وهو خاتمة الأبواب فى تلك الدراسة عن نهاية سلطنة البولالا كقوة سياسية مؤثرة وفعالة فى منطقة السودان الأوسط وكيف تدهورت الأمور السياسية بها وخضعت لنفوذ واداء واستقلال باجرمى عنها وكيف قدم إليها فى القرن التاسع عشر رابع الزبير وقدم رجال الإستعمار الفرنسى والإنجليزى وانتهاء آخر سلاطين البولالا عام ١٩٢٢م - ١٣٤١هـ - وكيف كون رابع الزبير سلطنته العربية الإسلامية فى ذلك الجزء من القارة الأفريقية وكيف قوض رجال الإستعمار الفرنسى هذه السلطنة .

ثم كانت خاتمة ذلك البحث وهى خلاصة ما توصلت إليه من نتائج فى تلك الدراسة وبعدها قائمة المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها .

وفى النهاية فأنى أرجو أن أكون قد استطعت أن أقدم للمكتبة العربية أن لم يكن لغيرها تلك الدراسة التى أرجو أن تكون فاتحة لدراسات أعمق وأشمل لكل الذين يهتمون بالدراسات الأفريقية وخاصة التاريخ الإسلامى الأفريقى كما أرجو أن يتجاوز كل الذين يطالعون تلك الدراسة عن بعض القصور والشمول فى هذا الجانب لأن تلك الدراسة لم تصل إلى حد الكمال المطلوب لأن الكمال الأمثل لله وحده ولأن فوق كل ذى علم عليم

والله ولى التوفيق ،

يناير ١٩٩٦

دكتور

عبد الفتاح مقلد الغنيمى





**الباب الأول**  
**قبائل البولالا**



استمدت قبائل البولالا اسمها من اسم أول زعيم لهم وكان يدعى بابليا وذلك على شكل صورة بابا على ولقد كانت أصولهم العرقية والجنسية لفترة طويلة من الدهر مصدرا للافتراضات بحثا عن حقيقة تلك الصورة وأن كانت تلك الإقتراحات لم تستطيع أن تصل إلى نتيجة نهائية بشأن أصول تلك القبائل وكل ما استطاع الوصول إليه هو افتراضات نظرا للاختلاط والتزاوج والإنصهار فى قبائل عديدة حيث أنه يندر وجود اجناس نقية الا فى المناطق المعزولة ولما كانت منطقة استقرار البولالا هى منطقة وفود العديد من القبائل فأن ما يمكن قوله أن قبائل البول « البلالة » أو الفولبية ومفردها يوللوى ينتمون فى السودان الغربى نحو الشكل الزنجى عن طريق الزواج بينهم وبين التجريتين وهم قوم محاربون رحل ، يطوفون بالأقاليم فيما بين نهر السنغال ونيجيريا وتتحدر جماعاتهم الأولى من جهة الأطلس استمرارا إلى شرق بحيرة تشاد حيث ظلت الإقتراضات الخيالية البالغة الغرابة حيننا من الدهر مصدرا لأصولهم الخفية لكن يبدو أنه فى المظنون اليوم أنهم وفدوا من الشرق وأنهم نتاج اختلاط الأثيوبيون بالسود والعرب ( هذا هو رأى ) وهناك عدة آراء أخرى نذكرها فى حينها .

والأفراد الذين تتكون منهم هذه القبائل ذو قوام ممشوق وجلد أسمر سمرة نحاسية وشعر موج وشفنتين رقيقتين وأنف مقوس ووجه مستطيل يكاد يكون رأسيا ولا بروز للفك عندهم لقبائل البولالا ( بورورو ) بشكل يتعد فى تكوينه كل الإبتعاد عن شكل الزوج ولقد ظلت قبائل البولالا رعاة وسط الفلاحين السود شأنهم فى ذلك شأن الأثيوبيين الذين هم فى الأصل رعاة ولو أنهم قد يلغون عصا السيار فى بعض الأماكن ليزرعوا هم الآخرون ولكن الغاية المتسلطة عليهم من وراء هذا الزرع هو الرعى فى نهاية الأمر .

وهناك أقوال تذكر أن البولالا أبناء عمومة الحكام الماغومين ( حكام كانم ) وهم كما ذكر فرغ من الأسرة السيفية ( نسبة ) إلى سيف بن ذى يزن من حمير اليمنى وهى الأسرة السيفية التى حكمت كانم وبنو منذ القرن التاسع الميلادى تقريبا ( الثالث الهجرى ) . وكلمة بولالا مكونة من لفظين بو أو بو وابلالا أو ابلالا ومعناها أحرار الطوارق أو نبلاء الطوارق أى أنهم من الطبقة التى تنسب إليها الأسرة الماغومية ويعرفون كذلك باسم كى ابلالا أى بنفس المعنى أحرار الطوارق .

ويقال أن البولالا من العناصر التى نتجت عن مصاهرة عرب الشوا وهم العرب المقيمون فى منطقة بحيرة تشاد حيث كان عرب الشوا يعيشون شرق بنو ويكونون جزء من سكانها وكانوا مجموعة واحدة كما يذكر أيضا أن مصاهرتهم مع عرب الشوا ومع الوطنيين الزوج قد نتج عنها هؤلاء القوم الذين تطلق عليها البولالا ، أو عن المصاهرة التى تمت بين طوارق

أو جيلا وفزان ، كذلك كان اختلاطهم مع العديد من القبائل المتعددة حول بحيرة فترى من جهة أخرى والتي منها قبائل الكوكا KoKa .

ولاشك أن الإختلاط والمصاهرة والإنصهار والتزواج أمر مألوف ومعروف منذ أقدم العصور بل أنه مؤكد تمام التأكيد بين العرب والزنوج والبربر ، والراجع أن أصول البولالا بربرية مع التأثير بالدماء العربية .

وقد جاء في المخطوطات العربية التي عشر عليها في بلاد البرنو أن أصل البولالا من العرب اليمين وأن أول سلاطينهم شخص يدعى محمد قيل أنه جاء من الشرق إلى الغرب ومن سلالة زعماء البولالا الذين حكموا من منطقة فترى ثم سيطروا فيما بعد على أجزاء كبيرة من بلاد كاتم .

وتذكر بعض الروايات أن سلاطين البولالا قد تمسكوا بالأصول البربرية وهناك أغاني وأناشيد Palmer وذكرها بالمر في كتابة صحراء برنو والسودان ، وقد تغنوا بهذه الأناشيد لسلاطينهم ومن خلال هذه الأغاني فإنه يتضح لنا السبب والأصل البربري ، كما أنهم كأبناء عمومتهم السيفيين حكاهم كاتم وبرنو أدعوا وانتحلوا لأنفسهم أصولا عربية شرقية وادعوا أنهم من سلالة سيف بن ذى يزن كذلك .

وقد كانت ظاهرة الإنتساب إلى الأسماء العربية والأصول العرفية الإسلامية تقليد شائع في بلاد غرب أفريقيا وفي بلاد السودان الغربي والأوسط كلها حيث لا نكاد نجد أسرة حاكمة في هذا العصر إلا وقد أصطنعت لنفسها نسبا عربيا سلاطين البولالا وكاتم وبرنو أنسبوا إلى سيف بن زى من حمير اليمن وسلاطين مالي أدعوا الإنتساب إلى عبد الله بن صالح بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وسلاطين سنغى ( سنغاي ) إتخذوا مثل هذا النسب العربي وهذا كله لكي يكسبوا صبغة إسلامية كاملة وليفوزوا برضا الرعية وتقدير المعاصرين وليفسحوا لأنفسهم مجالا في الحياة الإسلامية الدولية .

كما أن بعض الآراء تنسب البولالا إلى أسرة الماغومي والذين ظهرت دولتهم في مطلع القرن التاسع الميلادي والذين ظلوا يسيطرون على منطقة كبيرة وواسعة في جنوب كاتم وحول بحيرة فترى حيث كانت لهم عاصمة قرب بحيرة فترى والمغوميون هم الأشراف النبلاء ، سلف الزغاوين وكان هؤلاء هم حكام كاتم وبرنو لمئات من السنين وكان المغوميون مجرد فرع أو عشيرة لعناصر الصحراء المثلثمين المعروفين بالطوارق والذين يدعى البولالا كما سبق أن ذكرنا الإنتساب إلى البربر لكن حين تعود لعلاج مسألة الإنتساب إلى الأصل الحميري بحيث ادعوا أن جدهم الأكبر سيف بن ذى يزن فإن ذلك يحتاج إلى بحث طويل

للأصول العرقية حيث أن جددهم الأكبر قد قدم وابنه محمد مؤسس أسرة البولالا من الشرق نجد أنه من الثابت علميا أن سيف بن ذى يزن وابنه قد ماتا باليمن لكن قوائم سلاطين البولالا تدعى الإنتساب إلى هذا الجد الأكبر حيث نذكر أنهم أبناء عمومة السيفين حكام كاتم وبرنو وأن سيف هذا هو أول ملوك كاتم وبرنو والبولالا حول بحيرة فترى وأنه جاء كما نذكر ذلك أساطيرهم هو وابنه من مكة المكرمة وحكم فترة تصل إلى عشرين عاما لكنه مات في مدينة سامينا عاصمة الزغاوة قرب بحيرة فترى ، كما أن السجلات التي عثر عليها تذكر أن إبراهيم بن سيف بن ذى يزن هذا قد حكم ستة عشرة عاما وقيل خمسين عاما .

والملاحظ أن النسبة إلى سيف بن ذى يزن الحميرى وهى التى يتمسك بها سلاطين البولالا كما تمسك بها ما يأت كاتم وبرنو وسجلتها وثائقهم ورسائلهم ، إنها سجلت فيما بعد بدليل أننا نجد أن الماى عثمان بن إدريس ( ١٣٩٢ - ١٤٢٤م ) وهو السلطان الثالث والثلاثين فى سلسلة سلاطين كاتم ذكر فى رسالة بعث بها إلى السلطان المملوكى فى القاهرة السلطان الظاهر برفوق فى عام ( ٧٩٤ هـ / ١٣٩٢ ) وقد أوردتها القلقشندى حيث يشكو فيها من اعتداءات عرب جذام على بلاده يذكر فيها أنه من سلالة سيف بن ذى يزن وعبارته ( نحن بنو سيف بن ذى يزن والد جدنا العربى القرشى ، كذا ضبطناه عن شيوخنا ولقد كان لمساعدة عرب جذام لبولالا جانب آخر تذكره فى حينه وكما ادعى البولالا النسب إلى سيف بن ذى يزن ادعى سلاطين برنو وكاتم أنهم ينحدرون عن سيف ربن ذى يزن أيضا وقالت سجلاتهم أن أسرته حكمت أولا فى كوار حوالى عام ٨٥٠ ميلادية ثم تحالفت هذه الأسرة مع قبائل التيبو أو التيدا وفتحوا معا الجزء الجنوبى من الصحراء واتسعوا تدريجيا حتى شمل نفوذهم من وادى شرقا إلى النيجر غربا .

والحقيقة أن قصة الإنتساب إلى سيف بن ذى يزن والصلة بقريش كما ادعى سلاطين كاتم وبرنو وسلاطين البولالا خرافة روج لها مؤرخو بلاط هذه البلاد وهى جزء من عدد كبير من الأساطير التى احتفظت بها سلطنة البولالا وكاتم وبرنو وحرصت عليها لأنها تتصلق بأصولها ومن هذه الأساطير ما تقول أن الطبقة الحاكمة فى برنو وهى طبقة الماغومين النبلاء قد انتقلت من شواطئ البحر الأحمر ومن الشرق إلى أرض فترى وكاتم .

هذا بالإضافة إلى اسطورة الإنتساب إلى النسب السيفى القرشى وما فيها من تناقص فأن هناك كما سبق أن ذكرت الإدعاء أيضا البولالا وكاتم أورد ذلك العمرى والقلقشندى بصدد حديثهما عن كاتم ( وقد جاء منهم حتى من ادعى النسب العلوى فى بنى الحسن .

وكذلك فإن كل الممالك فى تاريخ الدول الإسلامية التى نهضت فى بلاد السودان الغربى والأوسط عامة ، أن الأصول العربية والنسب العلوى قد انتحلها الكثير من الأسر

الحاكمة فضلا عن القبائل التي اشتهرت في التاريخ في تلك البقعة ومن أمثلة ذلك ملوك مالي وملوك التكرور ، بل أن قبائل التورا Tara في منطقة بحيرة تشاد قد ادعت أنها تنحدر مباشرة من النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك ادعت قبيلة جوبير وهي إحدى امارات بلاد الهوسا وقبائل اليوريا في شمال نيجيريا والبييدا والبروم والبوسا أنها وفدت إلى تلك الأنحاء من غرب أفريقيا من ضواحي مكة المكرمة أصلا .

على أن مثل هذه الإدعاءات لم تظهر إلا بعد انتشار الإسلام والحضارة العربية الإسلامية في تلك الجهات وبعد أن ظهرت تلك القبائل القوية الأفريقية على مسرح التاريخ القومي الأفريقي وكونت لها إمبراطوريات واسعة متقدمة .

والخلاصة أن الأسرة الحاكمة التي قامت حول بحيرة فترى من البولولا ثم بعد ذلك سيطرت على كانم ترجع في اصولها العرقية إلى البربر الطوارق سواء أكانت من الزغاوة أم من الماغومين غير أن ذلك لا يمنع من بروز الأثر العربي والدماء العربية في منطقة بحيرة تشاد وحول بحيرة فترى الصغيرة وماجاورها من أقاليم .

لكن هناك تفسيراً آخر يفسر الأصول العربية للبولولا في ذلك قيام عرب بنى جذام في مساعدة البولولا في صراعهم ضد سلاطين كانم وبرنو ومن ذلك ما ذكره السلطان عثمان بن إدريس في رسالته إلى الظاهر برقوق سلطان مصر حتى أن اعدائنا من البولولا قد تحالفوا مع الأعراب من بنى جذام الذين فسدوا في أرضنا كلها كافة ، بل أن البولولا قد تحالفوا مع عرب جذام وغيرهم من الأعراب ومن ثم أغاروا على سكان كانم وذلك سبب فتنة وقعت بين كانم والبولولا أعداء ما يأت كانم مما أدى إلى قتل السلطان عمر بن إدريس .

وصله البولولا بأبناء عمومتهم حكام كانم وبرنو الماغومين صلة وثيقة حتى قبل أن الفريقيين كانا يزحفان معا حوالى القرن التاسع الميلادى نحو الجنوب الغربى وانتشروا في المنطقة الممتدة من وادى بحيرة فترى وعرفت هذه العاصمة كذلك باسم تاجواو داجو وهي من المدن الزغاوية المشهورة في ذلك الوقت أى فترة حكم وسيادة الأسرة الماغومية .

وقد حكم الماغومين أبناء عمومته البولولا والذين تحركوا سويا في الماضى إلى تلك المنطقة وأن فترة حكمهم كانت في الفترة الأولى على مدينة اسبن Asben والتي تعرف باسم إير أيضا والواقعة غرب بلما والتبستى وشرق أغاديس وفي الشمال الغربى من بحيرة تشاد وقد كان حكمهم قد قام على هذه المنطقة في الفترة التي كانت فيما بين سنوات ( ١١٥٠ / ١٢٥٠ م - ١٥٤٥ / ٦٥٠ هـ ) وعندما نشبت الحرب الأهلية في حوالى عام ٧٥١ هـ ، ١٣٥٠م بين البولولا الذين استقروا حول بحيرة فترى وبين أبناء عمومتهم حكام كانم برنو ، فإن ذلك كان قد أدى إلى إرتخاء قبضه الحكام الماغومين الطوارق أصلا على مناطق نفوذهم فيها .

كذلك فإنه ليس هناك أدنى شك في أن إختلاط أهل كاتم مع برنو هو الذى أوجد العنصر القوى الذى يمكن أن يفسر بأن سلالتهم من الأمراء وهم الذين حكموا منطقة كاتم أولا ثم اضطروا إلى الرحيل سبب أبناء عمومتهم من البولالا إلى جنوب غرب بحيرة تشاد ( برنو ) والتي تذكر الأساطير أن أهلهم من العرب وهو ما درج عليه حكام البولالا ربط أنفسهم بالنسب العربى .

وهناك أسطورة تدعى أن البولالا قد شقوا طريقهم مع أبناء عمومتهم الماغومين السيفيين الذين كانوا يتحركون سويا حتى وصلوا إلى قرى كاتم فأفتتحوها وكان احتلال البولالا للأرض الواقعة فى برقو Borku حيث يطلق هذا الإسم الذى كان منطقة بداية احتلال البولالا لتلك المنطقة على سكان منطقة ذات اشجار كثيفة وهى منطقة من بحر الغزال الذى يصب فى بحيرة تشاد وهو غير النهر ( الفرع ) الموجود فى السودان الشرقى وهو إلى الجنوب من بحيرة تشاد . وتلك المنطقة تقع فى اعلى التبت والانيدى وهى تمتد عن طريق نهر بحر الغزال إلى بحيرة تشاد ولم تكن لهذه المنطقة حدود معينة توضح معالم الرقعة التى يسكنها البولالا وكانت برقو الحد الشرقى ثم منها إير Air بل أنها امتدت من برقو إلى دركو فى الشمال وملكوا الأسواق الكثيرة العددوأصبحوا ذوى نفوذ وقوة كبرى كما أستولوا على حيول عظيمة العدد ،

وهناك أقوال تؤكد أن البولالا هم نتاج تزاوج بين ثلاثة أجناس هم الأثيوبيين والزنج والعرب وصورتهم أبعد ما تكون عن أشكال الزنج ، الا أنهم يقتربون اليوم إلى الشكل الزنجى بسبب المصاهرة المستمرة بينهم وبين النيجيرين .

والبولالا فى الأصل رعاة آبل وربما كانوا أصلا وثنيين محافظين على وثنتهم ثم دخلوا الإسلام أفواجا وفى ذلك الوقت بدأ دورهم يتعاظم فى تلك المنطقة . والبولالا هم الكايبى ويقصد به مصطلح نبيل عند بعض القبائل ويسمون بصفة زعامة فى برنو باسم كلى بلالا .

وقد انحدر زعماء البولالا من أحد فروع الأسرة الحاكمة فى كاتم وكانوا يحكمون البلاد التى حول بحيرة فترى ، شرق بحيرة تشاد ويذكر بالمر أن البولالا قد استوطنوا منطقة الصحراء الكبرى ثم انتشر نفوذهم فيما بعد دخولهم الإسلام .

وقد نجح البولالا فى اقامة امبراطورية واسعة حول بحيرة فترى إذ أقام لهم أبوهم اجل سكوتيمى بن دونا ما وبلا مركزا قويا على حدود البحيرة وسيطروا على عدة قبائل فى كوكو وفى المنطقة الواقعة من برقو إلى دوكو ، ومن ذلك فإن تاريخهم يدل على أن برنو وبابلية وبلالا تنسب كلها إلى أصل واحد هو حمير كما أدعو ذلك .

وقد كانت مملكتهم تحده غربا مملكة البرنو - كاتم وتمتد شرقا مع النوبة وتلتقى في الجنوب مع صحراء معينة على جزء متعرج من النيل ، كما تحده شمالا بمصر وكان طولها خمسمائة كيلو متر وعرضها أيضا خمسمائة كيلومتر أيضا وأن سكانها كما ذكر ذلك الحسن الوزان ( ليو الأفريقي ) غير متعلمين وهم همج لاسيما أولئك الذين سكنوا الجبال منهم ، كما أنهم كما ذكر الحسن الوزان عن سكان الجبال أنهم كانوا وقت زيارته في القرن الخامس عشر لازالوا يسيرون عراة فيما عدا ما يستر عورتهم وكانت منازلهم من الخشب والحطب وكثيرا ما تعرضت للحريق وملكوا كثيرا من الماشية وكان إهتمامهم بها يفوق كل إهتمام .

\*\*\*



**الباب الثاني**  
**تأسيس سلطنة البولال**  
**واتساعها**



بعد أن بسط البولالا نفوذهم على تلك المنطقة الواقعة حول بحيرة فترى إلا أن أخبارهم كقوة ذات شأن ونفوذ وسيادة لم تظهر وتتضح في تلك الإنحاء في السودان الأوسط إلا منذ القرن الثاني عشر الميلادى عندما ملكوا الخيول بوفرة وعرقوا بالفروسية ومن هنا فإن خطرهم قد بدأ يهدد جيرانهم من الغرب وأبناء عمومتهم من الماغومين حيث الأسرة الحاكمة فى كانم ، حيث تحالف البولالا مع قبائل جذام العربية ، وهناك بعض الكتاب الذين يطلقون على تلك القبائل العربية نجيزام وإن كان اسم نجيزام يختلف عن اسم جذام حيث أن قبائل نجيزام Ngizam هى من القبائل الوطنية المستقرة فى منطقة بحيرة فترى ، فى حين أن قبائل جذام العربية وهى قبائل وافدة من مصر وقد تحالفت مع البولالا فى بعض الفترات التاريخية من أجل تقويض نفوذ الماغومين حكام كانم ، وأن كان البولالا قد تحالفوا أيضا مع تلك القبائل الوطنية على اقامة مملكة مستقرة فى أرض كانم حيث استقروا فى مدينتى بالاك وماسيو أو ماساوا شمال بحيرة فترى وشرق كانم ، حيث كان ذلك قبل أن يتخذ الماغومين مدينة بلالا عاصمة لهم ومعنى ذلك فإن البولالا قد أقاموا مملكة لهم شرق كانم وشمال بحيرة فترى وقد أطلقوا على الطبقة الحاكمة منهم اسم ماجى أو ماجود Mag-gode / Magge .

لكن القرن الرابع عشر الميلادى ومع بدايته عندما انتشر الإسلام على نطاق واسع بين صفوف شعب البولالا فإن ظهورهم على مسرح الأحداث السياسية فى السودان الأوسط قد بدأ يأخذ بعيدا جديدا ذلك لأن اعلان سلطاتهم إتخاذ العقيدة الإسلامية منهجا له ولرعيته ومن ثم حمل سلطاتهم لقب ملك الناس ، حيث كان دخولهم للإسلام قد اتخذها اتجاهها آخر نحو العربية والإسلام اذ أن اختلاطهم بالقبائل العربية من بنى جذام وأولا حمد ومع شعب التيو قد ساعد على معرفتهم والمامهم باللغة العربية واتخاذها لغة لهم والتحدث بها كما أن القرن الرابع عشر الميلادى ، الثامن الهجرى ، قد شهد ازدياد قوة البلالة العسكرية وارتفعت مكانتهم السياسية فى منطقة السودان الأوسط ولم يلبثوا أن استغلوا هذه القوة العسكرية ضد حكام كانم سبب ما بينهم من خلافات ، بل أن مطامع البولالا وخطرهم على الماغومين أبناء عمومتهم قد ازداد .

وسلطنة البولالا قبل الدخول فى صراع مع سلاطين كانم وتوسيع رقعة السلطنة كما اشار إلى ذلك الحسن الوزان فى كتابة وصف أفريقيا من إقليم تياخم إقليم كانم برنو فى الغرب ويمتد شرقا حتى حدود مملكة النوبة التى تقع على النيل وتنتهى جنوبا بصحراء تناخم أيضا عسكا بصفة النيل وتمتد شمالا حتى صحراء سيرت فى ليبيا وحدود مصر الجنوبية الغربية وهى تمتد شرقا من مسافة خمسمائة ميل تقريبا وعرضا على نفس المسافة تقريبا

لكن من الطبيعي فإن الذى ينظر إلى حدود هذه السلطنة بهذا الوصف وتلك الصورة التى أشار إليها الحسن الوزان قد تكون مبالغ فيها فمملكة البولولا المعروفة باسم جوجبا كانت تتاخم فى اتجاه الغرب كأنه حيث هى جزء من كأنه فعلا وكانت حدودها فى سائر الجهات غامضة جدا ، وفى الشرق حيث لم تكن مملكة النوبة قد قامت فعلا قبل عام ١٥٠٤م كانت القبائل العربية تتوغل حينئذ حتى دارفور ( وقع مترجم كتاب وصف أفريقيا فى خطأ تاريخى حيث أن مملكة النوبة قائمة منذ فترة قديمة وقبل القرن الثالث الميلادى حيث أشتبك معهم العرب فى صراع منذ عام ٢١هـ / ٦٤١م منذ دخول الإسلام إلى الأراضى المصرية ، إضافة إلى توقيع عبد الله بن سعد بن أبى سرج لمعاهدة اليقط مع النوبة عام ٣١ هـ / ٦٥١م ) .

وكذلك وقفت حدود سلطنة البولولا شمالا فى الصحراء الليبية حيث كانت تلك المنطقة مؤهلة سكانيا بقبائل التيبو وفى الجنوب كانت القبائل العربية تتوغل حينئذ حتى دارفور ولا بعد من ذلك ومن الجنوب كانت تصطدم بقبائل عديدة فى بلاد نهر شارى وروافده .

ولقد شهدت البولولا عمقا تاريخيا بدأ بسلطانهم الأول محمد اليمانى الذى قدم إلى منطقة نهر شارى أو بحرشا BahrSau فى طريقه إلى الغرب لكنه مات فى أرجله بعد أن بسط نفوذ البولولا ولقد خلقه من بعده ابنه السلطان صالح Salih الذى نجح فى تكوين وتوطيد دعائم العرش للبولولا وقد حكم إثنى عشرة عاما ثم مات بعد ذلك ، ثم خلفه على عرش البولولا السلطان محمد ألوان alwan والذى حكم أربعة وعشرين عاما قضاها كلها فى العمل على توطيد نفوذ البولولا وبسط سيطرة هؤلاء القوم فى منطقة تشاد حول بحيرة فترى ومحاولة توسيع رقعة السلطنة وبسط النفوذ على القبائل المختلفة الزنجية التى تتوطن تلك المنطقة ولقد قام أحد سلاطينهم وهو السلطان جل Jil سلطان البولولا بتأسيس أول عاصمة للبلاد حيث إتخذها مقرا لحكمة وهى مدينة ماسيا Masiu كما قام بتأسيس مدينة أخرى عرفت باسم مدينة أبا كالا Abkala وقد مات ذلك السلطان وخلفه على الحكم السلطان (جوراب أبو مانجو) Jourab Abu Mango سلطان مارشو Marsho وقد نجح جوراب هذا فى الوصول إلى منطقة بحيرة فترى حيث استطاع أن يدخل فى معارك طاحنة وعنيفة مع السكان المحليين الذين كانوا يقطنون حول بحيرة فترى والذين كانوا يستقرون حولها والذين كان يطلق عليهم بنى كوكا Beni KoKa والذين كانوا يخضعون لسلطان تطلق عليه المصادر السلطان على دينار جورجا Dinar Gorga واستطاع أن يهزمه وأن تخضع شعبه لنفوذ البولولا ، ومن ثم طاب للملك ورعيته المقام حول بحيرة فترى حيث أتخذوا تلك المنطقة موطنًا للإقامة بها ومن ثم عملوا على تطوير تلك المنطقة واعدادها للسكن وأختلطوا

مع سكانها مع شعبة البولولا وقد مات السلطان مارشو بعد أن حقق تلك الإنتصارات على سكان منطقة بحيرة فترى وبعد أن أتاح لأبناء شعبة من البولولا بالسيطرة على شعوب تلك المنطقة والإختلاط بالسكان المحليين المسمين بنى كوكا وخلفه على عرش تلك المنطقة الجديدة حول بحيرة فترى وقيادة مسيرة شعب البولولا أخوه السلطان بالجاشى BaLgashe لكن فترة حكمه لم تدم طويلا حيث أن موسى بن مارشو استطاع أن ينجح فى توليه عرش البولولا وأن يخلف عمه السلطان « بالجاشى » بالجاش .

لكن موسى بن مارشو لم ينعم بتوليه عرش البولولا إذ حدث انقسام بين أطراف الأسرة الحاكمة وقامت حرب داخلية بل حروب مدنية بين أطراف النزاع حيث تصدى جوراب بن بالجاشى Juarab ibn Balgshe للنزاع على العرش حيث رأى أحقيته يتولى عرش البلاد خلفا لوالده بدلا من ابن عمه موسى بن مارشو ، لكن فى نهاية الصراع فإن جراب بن بلجاشى نجح فى قتل موسى ومن ثم تودى به سلطانا على البلاد خلفا لوالده الذى كان قد تولى عرش البلاد خلفا لأبيه مارشو .

وعلى ذلك فقد استمر مسلسل الحكم فى فرع بلجاش حيث تولى بعده من وضع حد للصراع ابنه جراب Jurab والذى خلفه على عرش البلاد السلطان حسن بن جراب والذى خلفه على عرش البولولا أخوة الشقيق سلطان جل Il بن جراب ، ثم جاء بعد ذلك أخيه السلطان محمد بن جراب والذى استمر فى توسيع نفوذ السلطنة فى الإتجاهات المختلفة حيث حارب العديد من القبائل لاسيما القبائل الوثنية التى كانت تقطن إلى الجنوب الغربى من بحيرة فترى حيث دام حكمه ثلاثة عشر عاما ثم خلفه على عرش البلاد السلطان حسن بن عبد الله الذى كان السلطان الحاكم لمنطقة فترى عندما قام بزيارتها بالمر Palmer فى القرن التاسع عشر الميلادى حيث كان لازال يحكم البلاد أو كما ذكرت ذلك الوثائق التى عشر عليها بالمر فى تلك المناطق وقد حكم هذا السلطان الذى لم تذكر الوثائق تسلسل نسبه الأسرى من ناحية هل هو فرع من السلطان مارشو أو أخيه بالجاشى ، وقد دامت فترة حكمه سبعة عشر عاما قضاها فى توطین دعائم حكم أسرة البولولا على تلك المنطقة التى سيطروا عليها بعد أن أزاحوا نفوذ بنى كوكا عن تلك المنطقة .

ولكن البولولا لم يفتنعوا بيسط سيطرتهم على منطقة بحيرة فترى والمناطق المحيطة بها لكنهم اخذوا بعد ذلك فى الاتجاه للتوسع غربا حيث قام البولولا ، أو كما يطلق عليهم شعب الكاتم شعب الكاوى Kay اتجاههم للغرب حيث تحركوا من الشرق فى اتجاه تجسمى عاصمة كاتم واستطاع البولولا الوصول غربا إلى منطقة الالى Aalali والتى كانت تقع على الشرق وبالقرب من تجسمى ، وقد اتخذ البولولا تلك المنطقة التى كانت تدخل فى حدود سلطنة الكاتم منطقة استقرار لهم وأعادوا تنظيم أنفسهم حيث أنشأوا فى تلك المنطقة اولالى

Alali لفترة تزيد على ثلاثة وثلاثين عاما ووطد البولالا نفوذهم وأقاموا حكمهم وسلطانهم فى تلك المنطقة الجديدة التى أضيفت إلى ما كانوا يسيطرون عليه من أراض حول بحيرة فترى حيث أصبحوا فى صراع مع أبناء عموماتهم أو أخواتهم من ناحية الأم من أسرة سيفو الاسرة السيفية التى تحكم كام فى حين كانت أم البولالا والسيفيين هى آسيا باجدرمارام . Bagdarmaram

ولقد ساعدت سيطرتهم على منطقة الالى على توسيع نفوذ البولالا حيث امتد فى اتجاه التيبو شمالا وسيطرت هذه القبائل على المنطقة الممتدة فى برقو Borka إلى مونيو Muniya بل أكثر بعدا فى اتجاه الشمال إلى منطقة اير Air بل انها امتدت من مونيو إلى نهر النيل وأصبح ذلك الخط يخضع لنفوذ البولالا ( الكاوى ) بل أن بالمر Palmer قد أشار فى الوثائق التى عثر عليها أن منطقة نفوذهم قد امتدت إلى جنوب طرابلس وقد يكون فى ذلك مبالغة شديدة ، ولقد أصبح البولالا بعد سيطرتهم على تلك المنطقة هم الذين يأمنون أمن الصحراء بل هم وسلطانها فى نقل الحركة التجارية .

وقد اتاحت سيطرة البولالا على منطقة الالى ومنطقة مانجا Manga أن أصبحوا بذلك الوضع السياسى الجديد يسيطرون على شمال كام ، وقد تخلى مايات كام برنو عن تلك المنطقة حيث تحركوا إلى مدينة وادى Wadi حيث استقر بها مايات كام لفترة تقترب من عشرين عاما ثم اضطروا إلى تركها حيث زحف إليها البولالا وبسطوا نفوذهم عليها ومن ثم سارت فكرة البولالا فى ضم أراضى جديدة من أراضى كام ، بل أكثر من ذلك فإن البولالا ظلوا يحاربون الكانمبو لفترة سبعة أيام متواصلة فى مدينة كوماجداويمو Koma-dugurobe .

ومن ثم اضطروا ماى كام برنو إلى التحرك من تلك المدينة والإلتجاء إلى مدينة لادا Lada بالغرب فى داتس Dutsi ، ولكن بعد ذلك فإن البولالا اضطروا للرحيل إلى منطقة فترى نظرا لوجود بعض القلاقل الداخلية حيث اضطروا سلطان البولالا إلى الإلتجاء إلى مدينة « ماندرى Mangari » حيث استقر هناك فترة بالقرب من نجاجيمى Ngegimi ، ولقد كانت هذه فترة حكم الماى ( السلطان ) مادا جاتسمى كونومالا Mada Gaanami Kanu- ma والذى كان زعيم البولالا الذى حارب سلطان كام الماى دوناموا بالمى Donama Da-balemy .

بل أكثر من ذلك فإن هناك روايات أخرى تذكر أن البولالا قدموا فى كولودان Kalu wan إلى أراضى الالى حيث مكثوا هناك فى الالى فترة تقرب من ثلاثين عاما مع سلطانهم ( ومن هنا فإن سلطان الكانمبو ) سلطان كام وسلطان العاصمة نجيمى قد ترك هذا الأقليم وأسس عاصمته فى وادى Waudi وكذلك فإن البولالا من أجل توسيع رقعة دولتهم فأنهم

اضطروا للدخول فى صراع مع سلطان الكاتم حيث هاجموا سلطان كاتم فى وطنه بين وادى والعاصمة نجيمى ولكن السلطان على سلطان الكاتم هاجم بدوره البولولا وذلك مما اضطر سلطان البولولا أن يهاجم وادى Waudi وهاجمها هجوما عنيفا إذ جرح فى ذلك الهجوم السلطان على بن دوناما سلطان كاتم فى مدينة وادى .

وقد كان ذلك الانتصار فرصة طيبة لكى يتابع سلطان البولولا وقواته الهجوم غربا خلف سلطان كاتم حيث تبعوا وتعقبوا خطوات السلطان المنسحب غربا ودارت بينهما معارك حامية فى مدينة لادا Lada والتي استمرت سبعة أيام بلياليها ولكن سلطان كاتم استطاع الانتصار العظيم عليهم مما اضطر سلطان البولولا أن يعود أدراجه وأن يعود إلى أراضى فترى حيث مكثوا هناك فترة ، واستقر أحد أتباعه ويدعى مانور ماناوا Manawa فى ارض الكاتم ، ولقد كان لسلطان البولولا ستة أبناء تركهم عقبا له ، أحدهم استقر فى مدينة كوا Kowa وأصبح رئيس لذلك القطاع وهو إقليم فوجى Fugh ولوجالى Lugali والابن الثانى استقر فى دوبو Duba وأصبح رئيساً لإقليم دوبوم Dubuma والثالث استقر فى مالجاى -Malgay es ومقر رئاسته فى مالجاومى Malegayema ، واستقر الرابع فى إقليم ولجام ، وأصبحت مقر رئاسته فى مدينة ولجاما Walgama واستقر الخامس فى إقليم فيفودد Fifido وأصبحت عاصمة إقليمه مدينة فوفودوما Fifidoma ، واستقر السادس فى إقليم كونو واتخذ عاصمة ذلك الإقليم فى مدينة كونوما Kunama ، ولقد قدم هؤلاء جميعا ومعهم مائة جمل إلى سلطان برنو وطلبوا منه الاعتراف بهم حكاما على هذه الأقاليم التى يحكمونها ومن ثم قام السلطان بتسلم هذه المائة جمل منهم واقدم رؤساء على هذه الأقاليم التى تخضع لحكمهم المباشر .

ولقد كان والد البولولا هو الماى كاروانى Kairawan .

وقد أورد بالمرقائمة بأصل ملوك البولولا الذين حكموا فى منطقة فترى طبقا للمخطوطات التى عثر عليها فى كتابه Sudanese Memoirs بدأها بالجد الأكبر لهذه الأسرة وهو محمد الكبير اليمانى ، ثم تسلسلت تلك الأسرة حتى وصلت إلى الاسم الرابع فى سلسلة ملوك هذه الأسرة وهو السلطان الرابع عبد الجليل وجل سيكوماس والثى تعنى زعيم النجيم ، والذى حكم فى الفترة من ( ٧٦٧ / ٨١٤ هـ - ١٣٦٥ / ١٤١١ م ) .

وقد كانت فترة ذلك الزعيم البولولاى فترة ظهور قوة البولولا على مسرح الأحداث السياسية كقوة عسكرية وسياسية فى عالم السودان الأوسط حيث بدأ نجمها يسطع فى سماء المنطقة وتكونت دولة واسعة الأرجاء وتدخل فى صراع طويل مع شعب الكانمبو وقد حكم ذلك الزعيم القوى ستة وأربعون عاما استطاع خلالها أن يوحد ويقوى نفوذ سلطنة البولولا على حساب أبناء عمومته أو أخوته من أمه شعب الكاتم ثم خلفه على عرش

السلطنة البولالية السلطان محمد علوان والذي حكم لفترة تصل إلى ستة عشر عاما من عام ( ٨١٤ / ٨٢٣ هـ - ١٤١١ / ١٤٢٧ م ) ثم خلفه على عرش البلاد السلطان محمد رشاد الذي حكم فترة تزيد قليلا على ثلاثة وعشرين عاما قضى معظمها في توسيع رقعة السلطنة والقيام بالهجوم على القبائل الوثنية في الجنوب الغربي ، وكذلك الدخول في معارك حامية الوطيس مع سلطان الكانم وحكم في الفترة من ( ٨٣٣ / ٨٥٤ هـ - ١٤٢٧ / ١٤٥٠ م ) ثم جاء بعده السلطان محمد عال وقد قضى هذا على عرش السلطنة فترة قصيرة لم تزد عن ستة سنوات حيث حكم في الفترة من ( ٨٦١ / ٨٥٤ هـ - ١٤٥٠ / ١٤٥٦ م ) ثم تلاه في قيادة دفة الأمور في البلاد وتولييه مقاليد الحكم السلطان محمد بن عبد الله الذي تطلق عليه المصادر محمد عادل الكبير حيث حكم فترة تزيد على إحدى وعشرين عاما وقد قتل هذا السلطان سلطان كانم بن تاجي بن مريم عام ( ١٤٦١ م ) وقد كانت فترة حكمه في الفترة من عام ( ٨٦١ / ٨٨٠ هـ - ١٤٥٦ / ١٤٧٥ م ) .

وجاء بعده السلطان محمد بياض وقد حكم هذا فترة قصيرة لم تزد عن أربعة أعوام حيث حكم من عام ( ٨٨٠ / ٨٨٤ هـ - ١٤٧٥ / ١٤٧٩ م ) وجاء بعده حاكم قوى استطاع أن يوحد دعائم سلطنة البولالا وأن تنعم البلاد في عهده بالرخاء والنمو الاقتصادي حيث حكم فترة تزيد عن ثلاثين عاما قليلا وكانت فترة توليه السلطة عام ( ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩ م ) واستمر في توليه الأمور حتى عام ( ٩١٤ هـ - ١٥٠٨ م ) ذلك هو السلطان محمد عمر ، ثم آلت الأمور في البلاد بعد محمد عمر هذا إلى السلطان محمد جبل الصفير حيث قد حرص سلاطين البولالا على أن يطلق على كل سلطان فيهم عبد الجليل وهو المؤسس القوى لهذه الأسرة المالكة التي ظلت تحكم منطقة فترى حتى القرن العشرين الميلادي ، وقد حكم هذا السلطان فترة تزيد عن ثلاث سنوات حيث حكم في أعوام ( ٩١٤ / ٩١٧ هـ - ١٥٠٨ / ١٥١١ م ) .

وآلت أمور السلطنة بعد ذلك إلى السلطان عبد الجليل الكبير الذي أطلق عليه الكبير تيمنا بجده الأكبر مؤسس هذه السلطنة ، وقد دامت فترة حكم هذا السلطان خمس سنوات فقط حيث حكم في الفترة من ( ٩١٧ هـ - ١٥١١ م ) واستمر في حكم السلطنة حتى عام ( ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م ) وتولى الحكم بعده السلطان محمد باجاري وقد حكم فترة خمسة عشر عاما هجرية بدأت من عام ( ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م ) وحتى نهاية ( ٩٣٧ هـ - ١٥٣٠ م ) ، وقد شهدت البلاد في عهده فترة ضعف في القوة العسكرية البولالية حيث كانت قوة كانم قد بدأت في الظهور حيث كانت قوة كانم قد استطاعت أن تدخل في قتال مع البولالا حيث كان ذلك السلطان البولالاي معاصرا للسلطان الكانمي السلطان إدريس بن السلطان علي غازي حيث استطاع هذا أن يفتح نجمي عاصمة أجداده القديمة



كما شهدت فترة حكم هذا السلطان محمد بن ادريس بن علي وقد تولى حكم هذه البلاد من بعده السلطان عبد الرحمن بن قداى وقد أسره السلطان علي بن ادريس وقد حكم هذا فترة اثنين وثلاثين عاما تبدأ من عام ( ٩٣٧ / ٩٧٠ هـ - ١٥٣٠ / ١٥٦٢ م ) وكان السلطان علي بن ادريس سلطان برنو محاربا شجاعا وعظيما نجح فى بقاء كاتم مرتبطة بحكم برنو ، وعرف السلطان علي بحارق البولالا وذلك لأنه سار على سياسة والده السلطان إدريس وأخيه محمد فى قتال شعب البولالا وكسر شوكته ، ولذا فقد استطاع أن يهزم سلطان البولالا عبد الرحمن بن قداى وأن يأسر ثلاثة من أبناء السلطان عبد الرحمن حيث لم يأسر السلطان عبد الرحمن نفسه كما ذكرت بعض المصادر ، وأخذ أبناء عبد الرحمن هذا أسرى معه إلى العاصمة برنى عاصمة برنو بعد أن قاتلهم خمسة أيام متصلة واستطاع أن يشتت شمل البولالا حتى أن بعض أبناء عبد الرحمن الذين لم يقعوا فى الأسر قد فروا بأنفسهم مع شعب البولالا إلى الشمال ، وقد تزوج السلطان الكانمى البرنوى علي بن أدريس هذا من اسرة البولالا الملكية ، لكن القوات البولالية استطاعت أن تقتل السلطان البرنوى هذا وهو يقاتل فى معركة ضدهم فى أرض الكاتم بالقرب من العاصمة القديمة نجيمى .

ثم تولى ادارة دفة الأمور فى البلاد حول بحيرة فترى بعد أن أصبحت الأمور غير مستتبة فى أراضي الكاتم السلطان محمد بن عبد الجليل كبير بنى عبد الله والذى حكم عاما واحداً حيث كانت فترة حكمه فى عام ( ٩٧٩ / ٩٨٠ هـ - ٢٥٧١ / ١٥٧٢ م ) وقد حارب هذا السلطان السلطان البرنوى العظيم ادريس الروما ولكن السلطان هذا استطاع أن يهزم سلطان البولالا فى عدة مواقع داخل ارض كاتم وأن يهزمه فى إحدى هذه المعارك مما اضطر إلى القيام بثورة ضده حيث تم عزله عن حكم البلاد ، وتولى السلطان محمد سورى حكم البلاد ، وقد كان محمد سورى عبد الجليل هذا شخصية قوية حيث حكم فترة تقدرها المصادر بعشرين عاما ( ٩٨٠ / ١٠٠١ هـ - ١٥٧٢ / ١٥٩٢ م ) لكن السلطان السابق محمد عبد الجليل بن عبد الله استطاع أن يقود قوات عسكرية قوية ضده وأن يعزله عن سلطة البلاد وأن يتولى مقاليد الأمور لفترة ثانية ويبدو أن صلة النسب بين السلطان محمد عبد الجليل وبين السلطان القوى سلطان برنو السلطان ادريس الروما كانت من الأسباب القوية التى دفعت به لتولى مقاليد الأمور فى البلاد مرة ثانية فى عام ( ١٠٠١ / ١٠٤٣ هـ - ١٥٩٢ / ١٦٣٢ م ) حيث تقدرها المصادر بأربعين سنة ميلادية واثنين وأربعين سنة هجرية ، وقد شهدت فترة حكمه الثانية توقيع معاهدة سلام وحسن جوار واستقرار مع سلطان برنو حيث كانت صلة النسب والمصاهرة من الأسباب القوية التى ساعدت على استقرار الأمور بين البولالا وسلطان كاتم برنو ( سوف نذكر ذلك بالتفصيل عند الحديث عن باب الصراع بين البولالا وكاتم ) ، ثم آلت الأمور فى بلاد

البولالا بعد وفاة جراب الفيل عام ١٢٣٥هـ - ١٨١٩م إلى ابنه موسى جراب الفيل الذى نجح فى توليه الحكم لكن أخيه جراب الصغير عارضه فى تولية الحكم مما جعل القتال ينشب بينهما لكن جراب الصغير هزم وهرب إلى كاتم واستطاع أن يحضر قوات عسكرية تساعده وكتب إلى أخيه موسى بأنه سوف يحضر لكى يهاجمه وذهب إلى فترى وعسكر هناك فى جير Jir بالقرب من جاو Gao وعندما سمع موسى هذه الأخبار فإنه قدم إليه وتقابلا الاخوان للقتال فى ١٦ ذى الحجة ولكن جراب الصغير استطاع أن يحقق النصر وهرب موسى وبعض ابنائه لكن فى النهاية فأن موسى قتل بعد أن حكم أربعة وعشرين عاما ١٢٣٥ - ١٢٦٩هـ - ١٨١٩ - ١٨٤٣م .

ثم تولى حكم البولالا جراب الصغير الذى حكم ثمانية وثلاثين عاما ١٢٦٠ - ١٢٩٨هـ - ١٨٨١م ثم آلت الأمور بعد ذلك إلى ابنه حسن بن جراب الصغير الذى حكم سبعة سنوات ١٣٠٥هـ - ١٨٨٨م ودارت معركة حربية بينه وبين أخيه السلطان جادى Gudei وكان جادى قدم إلى مدينة أونى Auni بالقرب من موتو Meto وعسكر هناك وجمع قوات عسكرية فى كوكا Kuka وهاجم فترى وعندما سمع أخيه حسن بهذه الأخبار فإنه كان فى مدينة نجاوز Ngusa وقدم السلطان للقتال يوم الإثنين السابع من شهر ذى القعدة وتقاتلا الفرسان ضد الفرسان حتى المساء وهزم جادى وعاد أدراجه إلى أونى Auni بعد أن فقد أربعين فارسا من رجاله وظل فى أونى لفترة تقترب من عام ومن ثم فقد قام بإحضار قوات عسكرية أخرى وكتب إلى أخيه حسن مرة أخرى وكرر أنه سوف يأتى له ومن ثم فقد قام جودى بمهاجمة جاو ودار قتال شديد يوم الأحد التاسع من صفر وانتصرت قوات جودى وفقد السلطان حسن خمسة وسبعين فارسا من قواته بالإضافة إلى ثلاثمائة جندي آخرين قد قتلوا وهزم السلطان حسن وعاد جودى Gudie إلى أونى ومن ثم فإنه لم يدر قتال بعد ذلك وقد وصلت أخبار تلك القوات والمعارك إلى السلطان يوسف سلطان وادى الذى أرسل رسالتين إلى السلطان جودى مع مبعوث خاصة له ومن ثم ذهب السلطان جودى إلى السلطان يوسف سلطان وادى وقدم إلى ابيش Abeshe ودخل الرسول قبل السلطان ويسؤال لكى يحضر جودى ، وقدم السلطان جودى أمام السلطان يوسف والذى أرسله إلى منزل جورما Jerma ومكث هناك سبع سنوات ، ومن ثم فقد مات حسن بوكوما Bekuma واستطاع أخيه ماناجيرا Mainajiri أن يستولى على مقاليد الحكم واستطاع أن يحكم ثلاث سنوات وقد قام السلطان يوسف وأدى بمهاجمته واستطاع أن يأسره ويأخذه معه أسيرا إلى أبيتشى عاصمة وادى وسجنه هناك وأرسل السلطان يوسف إلى السلطان البولالاى جودى الذى سجن سبع سنوات وأخرجه من سجنه وأعلنه سلطان على البولالا فى فترى وقام هذا بالعودة إلى جاو وحيث حكم ثلاثة عشر عاما . لكن حدثت بعد

ذلك عدة خلافات بين السلطان الجديد جودى وبين أبناء السلطان موسى بن جراب القتيل حيث قدم إلى مدينة جورجورا Jurjwra مدينتهم وهاجم فترى ودارت معركة بينه وبينهم في مكان يدعى مليمى Melme لكن السلطان جودى هزمهم ومن ثم عادوا هؤلاء إلى مدينتهم جورجورا وقام السلطان يوسف سلطان وادى بالقبض على زعيمهم وهو أبو شيخو Abu shekhi وسجنه فى سجن أبيشى حتى مات هناك ومن ثم فقد قدم ابن الزعيم أبو شيخو وهو مانا جالى Mainajili من بوشى عاصمة وادى إلى فترى وقدم إلى مدينة مادوجو Madogo Mainajili وأحضر قوات عسكرية .

ثم تولى مقاليد الأمور فى سلطنة البولالا بعد وفاة محمد عبد الجليل كبير عبد الله وهو غير السلطان السابق الذى سبق ذكره وتبدو أن تكرار الأسماء من أسماء سلاطين البولالا قد اتخذ مظهرا من مظاهر اليمن والتشبه نظرا لقوة وصلابة وعظمة السلطان السابق ومن ثم فما هو الداعى أن يكون ذلك الإسم هو اسم السلطان السابق طبق الأصل وقد يكون ذلك السلطان هو ابن السلطان السابق وهو تسمى باسم والده أخلاصا وحياله وقد حكم هذا السلطان فترى فترة تزيد عن سبعة وأربعين عاما هجريا حيث حكم من عام ( ١٠٤٣هـ - ١٦٣٢م / ١٠٩٠هـ - ١٦٧٩م ) .

وقد خلفه فى حكم البولالا السلطان محمد شاو وقد حكم هذا سبعة وعشرين عاما بدأت من عام ( ١٠٩٠هـ - ١١١٩هـ / ١٦٧٩ - ١٧٠٧م ) ثم خلفه السلطان إدريس بن محمد شاو وحكم من عام ( ١١١٩ - ١١٥٦هـ / ١٧٠٧ - ١٧٤٣م ) حيث كانت فترة حكمه تصل إلى ستة وثلاثين عاما ميلاديا ثم حكم بعده محمد بيكوما الكبير وحكم هذا ( ١١٥٦ - ١١٩٥هـ / ١٧٤٢ - ١٧٨٠م ) ثم حكم بعده جراب الفيل وقد حكم هذا اربعين عاما تبدأ من عام ( ١١٩٥ - ١٣٢٥هـ / ١٧٨٠ - ١٨١٩م ) .

ثم تولى حكم هؤلاء السلاطين للبلاد حيث حكم تلك السلطنة بعد جراب الفيل هذا الذى انتهت فترة حكمه من عام ( ١٢٣٥هـ - ١٨١٩م ) وحكم بعده خمسة سلاطين لم تعرف فترة حكمهم وأن كانت قائمة سلاطين البولالا تنتهى عند السلطان التاسع والعشرين فى سلسلة سلاطين البولالا التى تبدأ من عبد الجليل أو جبل سيكوماي وتنتهى عند السلطان كرومه والذى انتهى حكمه فى عام ( ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م ) وبذلك يكون ذلك السلطان هو خاتمة المطاف لأسرة البولالا التى ظهرت كقوة عسكرية وسياسية ذات نفوذ سياسى وعسكرى واسع فى ستة قرون متواصلة حيث كانت بداية قوتها فى عام ( ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م ) ونهايتها فى عام ( ١٣٤١هـ - ١٩٢٢م ) .

وهكذا يتضح أن أسرة البولالا هى أطول أسرة تحكم تلك المنطقة الواقعة حول بحيرة فترى وجنوب شرق بحيرة تشاد حول كام حيث كان ذلك الإستقرار السياسى دليل قوى

وحيوى على قوة هؤلاء السلاطين فى قيادة شعبهم وتوجيه أموره السياسية والمحافظة على وضعه السياسى فى تلك المنطقة الحساسة من بلاد السودان حيث تقع فى منطقة احتكاك سكانى بين السودان الشرقى والغربى والأوسط .

وهاجم السلطان جودى وقد دارت فى أرض منطقة دابالتى Dabalthe وقد جرح السلطان جودى فى هذه المعركة لكن المهاجم مانا جالى قتل فى تلك المعركة وقد ظل السلطان جودى بحكم البلاد حتى هاجمته قوات اسيل وهاجمته القوات الفرنسية حيث قتل فى مولابيس Mulabis وحكم بعده السلطان حسن والذى حكم أربعة وعشرين عاما .

وكان آخر سلاطينهم السلطان كورما Chiroma ابن السلطان حسن والذى حكم وانتهى حكمه عام ١٩٢٢ وبذلك طويت صفحة من صفحات التاريخ الإسلامى فى سلطنة البولالا منذ أن ظهر زعيم البلاد السلطان عبد الجليل فى القرن الرابع عشر حيث توارث أسرته من بعده عرش منطقة فترى حتى القرن العشرين وهو يعتبر أطول تاريخ أسرة حاكمة فى القارة الأفريقية بل فى منطقة السودان الأوسط .

وهكذا دارت الأحداث التاريخية والسياسية فى تلك المنطقة الواقعة جنوب غرب الأراضى المصرية وشمال غرب السودان الشرقى حيث شهدت تلك المنطقة أحداثا سياسية وتاريخية وعسكرية فى تلك المنطقة وما تلاها من صراعات دموية بين البولالا سكان فترى وبين أبناء عموماتهم سكان كاتم ، وكذلك ما شهدته المنطقة من أحداث تاريخية مع سلطنة وادى حيث أن وادى استغلت فترة الضعف التى انتابت سلاطين البولالا وبدأت تتدخل فى شؤونها الداخلية بل تفرض نفوذها السياسى على سلاطين البولالا فتقوم بعزل السلطان الذى لا ترضى عليه وتعين السلطان الذى ترضى عنه وادى .

وهكذا كان عام ( ١٣٤١هـ - ١٩٢٢م ) هو نهاية عصر الحكم البولالالى فى تلك المنطقة بعد أن وضعت القوات الفرنسية حداً لهذا الحكم الذى استغرق أكثر من ستة قرون فى سلالة أسرية واحدة وهى سلالة النبلاء من البولالا حكام فترى .

\*\*\*

## الباب الثالث الصراع ضد الكانم



لقد كان ظهور السلطان البولالى عبد الجليل أو جبل سيكومانى والذى كان يعنى هذا اللقب عندهم سيد المعسكر على مسرح الأحداث السياسية فى منطقة بحيرة فترى فى القرن الرابع عشر الميلادى بمثل حجر الزاوية فى حلبة الصراع البولالاي الكانمى حيث استطاع ذلك السلطان أن يتخذ بعدا جديدا فى الحياة العسكرية البولالاية حيث كان أول سلطان يحقق الإنتصارات الواسعة على ساحة كانم ويستطيع أن يهزم القوات الكانمية .

ولكن ليس معنى ظهور السلطان عبد الجليل بهذه الصورة القوية أو دخوله فى صراع مع ابناء عمومته حكام كانم أنه أول سلطان بولالاي يقوم بهذا الهجوم ، لكن مطامع البولالا فى أراضى كانم قد بدأت محاولاتها منذ القرن الثانى عشر الميلادى بل أنها اشتدت أكثر مع بداية القرن الثالث عشر الميلادى ومن ذلك فأنا نجد بالمر يذكر أنه مع ازدياد مطامع البولالا وظهور خطرهم على اسرة الماغومين فأنا نجد السلطان الكانمى دونما دبالمى حيث كان ذلك السلطان القوى ( ١٢٢١ - ١٢٥٩ م ) والذى بلغت كانم فى عهده من الشهرة مبلغا عظيما فى بلاد الشرق والغرب ووسع ذلك السلطان حدود دولته والتي بدأت تدخل مرحلة الإنهيار والضعف بعد موت ذلك السلطان حيث ازداد خطر شعب البولالا وعلى ذلك فقد قام ذلك السلطان بنفسه وخروجه على جيش قوات كانم لملاقاة البولالا بل حد من قوتهم فى الأماكن التى استولوا عليها فى شرق كانم بحيث استطاع أن يقتل منهم نحو ثلاثة الاف شخص كما ورد فى بعض المخطوطات بل أن سلطان البولالا إبراهيم جانا لم يستطيع أن يقاوم ذلك الهجوم الباغث الذى قام به السلطان الكانمى دونما باليمى مما اضطره إلى الفرار والإختباء فى مستنقعات بحيرة فترى .

وتنتسب مخطوطات برنو العربية التى عثر عليها بارث وبالمر أن السلطان الكانمى دونما دبالمى قد قاد حرباً طاحنة ضد البولالا استغرقت كما تقول تلك المخطوطات سبع سنوات وسبع أشهر وسبعة أيام ، كما أن تلك المخطوطات البرنوية قد اضافت قائلة أن الزعيم البولالى الذى اتى لمحاربة السلطان دونما خلفا للأمير البولالاي إبراهيم جاما وهو الأمير جابو بن لافراد وعلى هذا فأن البولالا خلال القرن الثالث عشر لم يستطيعوا أن يحرزوا أية انتصارات عسكرية على الكانمبو أو الماغومين سكان كانم وقيادتهم السياسية حتى عام ١٢٥٩ عند وفاة السلطان دونما دبالمى ولكن عندما ضعف مايات كانم بعد عهد دونما دبالمى فإن قوة البولالا كانت آخذة فى الزيادة والإتساع فى حين كانت قوة كانم قد بدأت تأخذ من الضعف والإنهيار العسكرى ، وذلك بسبب التنافس بين أفراد الأسرة الكانمية وذلك على تولى مقاليد الحكم فضلا عن احاطة الأعداء بالبلاد من الشرق والجنوب حيث شعب الصو الوثنى والذين كانوا يترصدون بكانم لحظة الضعف للتخلص من نفوذها أو القضاء عليها ،

ويذكر أن قبائل البولالا قد زحفت على كاتم والذين كما يذكر الدكتور حسن محمود في كتابه الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا نقلا عن هوجين في كتابه الإمارات الإسلامية في شمال نيجيريا أن البولالا كانوا من أهل البلاد الأصليين والذين ثاروا على استبداد الأسرة الكانمية ( السيفية ) الحاكمة وأعلنت الحرب عليهم واقتحمت عاصمتهم نجيمي وطردت الملوك من سلاطين كاتم ففروا إلى غرب بحيرة تشاد .

ولقد كانت من الأسباب القوية التي مهدت الطريق لتحقيق الإنتصارات الباهرة على شعب الكانمبوللولا ذلك الصراع الذى حدث بين شعب الصو وسكان كاتم حيث خرجت كاتم من تلك الحروب منهوكة القوى مما أتاح الفرصة أمام البولالا للإنتصار على شعب الكاتم وحكامه ذلك لأنه فى جنوب كاتم كان يسكن شعب الصو الوثنى الذى عمل على التخلص من سيطرة الكاتم وحاربهم وكان سببا فى أن يلقى أربعة من سلاطين كاتم مصرعهم فى ميدان القتال وقد كان شعب الصو هذا كما تقول بعض الآراء قوم قدموا من الشرق من شواطئ النيل حيث لم يجد هؤلاء العمالقة أدنى صعوبة فى إخضاع الأهالى الأقزام الذين وجدوهم على الشواطئ الشرقية لبحيرة تشاد وكذلك فى أقاليم المراعى شمال تشاد لكن شعب الصو هذا قد هزم من القوات الشمالية البيضاء الزاحفة إلى بلاد السودان وكان شعب الصو يشكلون وحدة متماسكة وكونوا لهم مملكة قديمة وكان لهم نظامهم الإجتماعى والسياسى وأنهم بسطوا نفوذهم على بعض القبائل السودانية وأن اسلافهم قد أنشأوا القرى وكانت لهم حضارتهم .

ولقد كان أول سلطان كانمى يلقى حتفه فى ميدان القتال ضد شعب الصو هو السلطان سيلما بن عبد الله والذى حكم فى الفترة من ( ٧٤٧ - ٧٥٠ هـ / ١٣٤٦ - ٣٤٩ م ) وخلفه فى الحكم أخيه السلطان كوى بن عبد الله الذى حكم سنة واحدة ( ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م ) حيث لقي مصرعه فى ميدان القتال وهو يدفع خطر الصو جنوبا عند حدود سلطنته ، ثم آلت أمور سلطنة الكاتم إلى أخيه كوى الكبير الذى حكم هو الآخر سنة واحدة عام ٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م ولقى مصرعه أيضا فى نفس المكان الذى قتل فيه أخيه على يد شعب الصو .

وتولى السلطنة وقيادة القوات من بعده أخيه محمد بن عبد الله الذى لم تطل مدة حكمه هو الآخر عن سنة واحدة ( ٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م ) فقد هزم ولقى نفس المصير الذى لقيه أخويه من قبل .

ولقد كانت كل هذه الهزائم المتكررة لقوات كاتم من شعب الصو فى فترة زمنية قصيرة من الأسباب القوية التى مهدت الطريق لرحيل الأسرة الحاكمة إلى برنو ثم تولى أمور البلاد بعد ذلك السلطان إدريس بن إبراهيم ( ٧٥٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٥٣ - ١٣٧٦ م )



والذى استطاع أن يهزم شعب الصو ولكنه رغم الإنتصار على شعب الصو إلا أنه واجه عدوا آخر قادم من الشرق تمثل فى شعب وقبائل البولالا حيث كان ذلك الشعب السبب الرئيسى فى رحيل الأسرة نهائيا من كاتم إلى برنو .

وأنة خلال الفترة من عام ( ١٣٦٦ - ١٣٨٦ م ) أى خلال العشرين عاما تولى عرش الكاتم ستة سلاطين كانوا جميعهم معاصرين لسلطان البولالا الزعيم القوى عبد الجليل بن سيكوما والذى حكم ( ٧٦٧ - ٨١٤ هـ / ١٣٦٥ - ١٤١١ م ) والذى قاد قواته ضد الكاتم فهب سلطان الكاتم إدريس بن إبراهيم وتطلق عليه بعض المصادر إدريس بن حفظة نسبة إلى أمه ، لملاقاة العدو البولالالى الزاحف من شرق بحيرة تشاد حيث موطنهم حول بحيرة فترى الصغيرة وكان إدريس بن إبراهيم من سلاطين الكاتم الأقوياء الأشداء والمحارب الفذ الذين حكموا كاتم حيث قد سبق له أن تغلب على شعب الصو الوثنى والذى قتل أربعة سلاطين من قبيلة ، واستطاع إبراهيم أن يقاوم البولالا لكنه لم يستطع أن يحقق أى انتصار حاسم عليهم فى هذه المعركة ويبدو أنه قد قتل فى ميدان المعركة ومن هنا فقد وقع عيب المواجهة الحاسمة للبولالا على عاتق شقيق إدريس ، حيث خلفه فى حكم الكاتم فى ظل ظروف الحرب السلطان داود تكالى بن إدريس ( ٧٧٩ - ٧٨٨ هـ / ١٣٧٧ - ١٣٨٦ م ) حيث حكم هذا السلطان تسعة أعوام ولكنه لم يستطع أن يوقف زحف البولالا على بلاده بل أن الأمر انتهى بدخول السلطان البولالى عبد الجليلى سلطان البولالا العاصمة نجيمى وذلك فى عام ( ٧٨٢ هـ - ١٣٨٠ م ) حيث قتل السلطان داود واستطاع البولالا السيطرة على عاصمة الكاتم واحتلالها .

لكن بعد مقتل السلطان داود فإن ابنه عثمان بن داود بن إدريس والذى حكم لفترة قصيرة لم تزد عن ثلاث سنوات ( ٧٨٩ - ٧٩٢ هـ / ١٣٨٧ - ١٣٩٠ م ) استطاع أن ينجح فى تحقيق بعض الإنتصارات على البولالا فى أن يوقف زحفهم إلى أراضى جديدة بل أنه خاض معهم معركة حامية الوطيسى داخل العاصمة نجيمى استطاع بعدها أن يخلص العاصمة من أيديهم وأن يطردهم منها وأن يعود هو وأسرته وبقية شعبه إلى العاصمة بعد هزيمة قوات عبد الجليل ، مما زاد فى ألتفاف قبائل الكاتم حوله .

وعندما توفى عثمان بن داود فإن حكم البلاد قد آل إلى عمه عثمان بن إدريس والذى لم تزد فترة حكمه عن عامين ( ٧٩٣ - ٧٩٤ هـ / ١٣٩١ - ١٣٩٢ م ) حيث أنه واصل خلال تلك الفترة الزمنية القصيرة الجهاد ضد قبائل البولالا ومحاولة إيقاف زحفهم ضد العاصمة والأراضى الشرقية التى احتلوها فى البلاد لكن زحف البولالا كان شديدا حيث اسشهد فى ميدان المعركة ، حيث تولى حكم الكاتم بعد مقتله السلطان أبو بكر دليا توين داود ابن إدريس حيث لم يدم حكمه إلا تسعة أشهر ( ٧٩٥ هـ - ١٣٩٢ م ) حيث قتل

على يد قوات البولولا بقيادة عبد الجليل وتولى حكم البلاد عمه السلطان عمر بن عثمان بن إدريس حيث كان السلطان عمر بن عثمان بن إدريس والذي حكم ( ٧٩٦ - ٨٠٠ هـ - ١٣٩٣ - ١٣٩٧ م ) وهو آخر سلاطين أسرة سيف فى كاتم فقد اضطر إلى الإلتجاء إلى الأراضى التى تقع إلى الجنوب الغربى من بحيرة تشاد حيث أرض البرنو ومن ثم رحل عن بلاده وبلاد أجداده ، وذلك لأن السلطان عمر بن عثمان ، كان قد رأى أنه لا قبل له بمواجهة البولولا فإنه جمع أهل الرأى والمشورة فى بلاده ومنهم الإمام الأكبر للبلاد حيث اجتمعوا الرأى على ضرورة مغادرة جميع أراضى الكاتم بعد أن كانوا قد تركوا العاصمة نجيمى وصاروا ينتقلون من مكان إلى آخر ، حيث أنه لم يعد يطيب لهم المقام فى ذلك المكان فجمع السلطان عمر بن عثمان بن إدريس ما تبقى من قواته العسكرية وحاشيته وانتقل إلى مدينة كاجا Kaga حيث هى فى الأراضى الجنوبية التى لجأ إليها السلطان عمر بن عثمان بن إدريس وكانت هذه هى نهاية المطاف له وشعبه بعد طرده من كاتم وعاصمة بلاده وهكذا أجبر البولولا أسرة سيف على نقل مقر الملك إلى برنو جنوب غرب بحيرة تشاد وقد أقام البولولا دولتهم بعد سيطرتهم على بلاد كاتم .

وتذكر بعض المصادر أن السلطان عبد الجليل كان مأسورا فى كاتم مع بعض أفراد أسرته من البولولا لدى سلاطين كاتم وكان قد هرب من كاتم عندما اشتد الصراع بين أفراد الأسرة المالكة على تولى مقاليد الحكم فى البلاد وقد وجد الفرصة مواتية للهروب من الأسر الذى وقع فيه حيث وجد طريقة إلى قومه حول بحيرة فترى ، وقد اشتدت وطأة المايات سلاطين الكاتم بعد هروب عبد الجليل على شعب البولولا وقد يكون ذلك من الأسباب القوية التى دفعت البولولا إلى تجميع قواتهم وحشد قدراتهم العسكرية ، وكان عبد الجليل قد اختفى بين قبائل كوكا فترة من الزمن ولكنه بعد فترة عاد إلى العاصمة ماسيو Masiu عاصمة البولولا ، حيث جمع شعبه حوله وأخذ يغير على أملاك المايات حكام كاتم ويوسع أملاك بلاده وتذكر بعض المخطوطات أن عبد الجليل هذا كان مشهورا بالفروسية ومشهورا له بالقوة والشجاعة فضلا عن المغامرة وخاض كثيرا من الحروب وظفر بإتصارات كثيرة .

وكان ذلك الإختفاء فى كوكا من الأسباب القوية التى جعلته يتحالف مع رعايا هذه المنطقة ضد سلطانهم على نديننتا ، حيث كانت منطقة الكوكا تقع فى منطقة بحيرة فترى ، بالإضافة إلى أن ذلك السلطان كان يعرف باسم على الكوكى وكانت عاصمة إقليم الكوكا وهى مدينة ياو أو جاو Gao أو Yau وقد كان تحالف عبد الجليل مع سكان ذلك الإقليم من الأسباب القوية للقضاء على على الكوكى ومن ثم بدأ يلتف السكان حوله وأخذ عدته للسيطرة على العاصمة ماسيو ثم بعد ذلك استطاع القضاء على دولته وفكر عبد الجليل فى نقل عاصمة أجداده ماسيو إلى عاصمة على الكوكى وهى مدينة ياو أو جاو قرب بحيرة

فترى ومنذ ذلك الوقت اشتد ضغط البولالا على سكان كاتم ويطشهم بأبناء عمومتهم من  
الماغومين وذلك ردا على الأعمال الإنتقامية التي قام بها سكان الكاتم ضد البولالا .

وقد اصطدم السلطان عبد الجليل فى صراعه بالمأى الكانمى إدريس بن إبراهيم بحيث  
لم يقو السلطان إدريس على مقاومة القوات البولالاية الزاحفة بقيادة عبد الجليل ومن ثم فقد  
اضطر إلى ترك عاصمته نجيمى والهروب منها والإلتجاء إلى مدينة كيريك ناجو krik nago  
وذلك لكى يعيش من جيله وولا wala حيث هى تقطن إلى الجنوب من كاتم وهى فرع  
من قبيلة وتأكير والتي يذكر عنها أنها الأصل فى تأسيس دول امارات الهوسا السبع .

وكان العرب من بنى جذام وغيرهم من القبائل العربية الأخرى يساعدون البولالا فى  
حربهم ضد سكان كاتم وسلاطينها ولا يعرف السبب فى ذلك هل لأن البولالا أقرب إلى  
العرب عرقيا وجنسيا أم لأن البولالايون منحوا لهم تسهيلات فى الإقامة حول بحيرة فترى  
ووعودهم بكسب كل ما غنموه من هذه الحروب ضد الكانميون ، بل أن تلك المساعدة  
العربية سهلت للبولالا بقيادة عبد الجليل أن تقتل أربعة من مايات كاتم برنو فى كفاحه  
معهم لأجل توسيع حدود دولته والتخلص من كل آثار السيطرة التي قد يفرضها سلاطين  
كاتم على شعب البولالا وهؤلاء المايات الذين تم قتلهم هم الماى داود تكالى بن إبراهيم  
( ١٣٧٦ - ١٣٨٦ م ) وعثمان بن داود ١٣٨٦ م ، ومنافسة عثمان ابن إدريس  
( ١٣٨٦ م ) ، ثم أبو بكر بن داود .

وهكذا نجح البولالا فى حروبهم ضد مايات كاتم برنو بفضل تلك المساعدة التي قدمها  
لهم عرب جذام والعرب الذين قدموا من الشمال والشرق و عرب جذام فرع من القبائل  
القحطانية من جنوب شبه الجزيرة العربية وقد انتقلت اعداد كبيرة منهم إلى مصر حيث  
استقرت فى شرق الدلتا فيما يعرف باسم الحوف ، ومن مجموعة جذام طائفة تعرف باسم  
بنى عقبة انضمت إلى العرب الهلالية فى غزواتهم لفزان حوال عام ١٠٥٠ ، ثم بدأت  
جذام وكذلك جهيئة تتجه نحو بلاد السودان منذ عام ١٢٠٠ م ومن ثم كانت مساعدتهم  
للبولالا فى القرن الرابع عشر الميلادى بعد أن وطدوا نفوذهم فى تلك المنطقة ومن هنا  
تحالفوا مع البولالا وحتى عهد الماى الثلاثين فى سلسلة سلاطين كاتم برنو والتي بدأت  
بإعلان السلطان الأول فى كاتم السلطان أوميجمى إسلامه وهو السلطان الثانى عشر فى  
سلسلة ملوكهم فى عام ( ٤٧٩هـ - ١٠٨٥ م / ٤٩٠ هـ - ١٠٩٧ م ) فإن الأسرة  
السيفية لم تستطيع بعد أن وضحت أمامها صورة الإنتصارات التي يحرزها البولالا استحالة  
البقاء فى العاصمة نجيمى ، لذلك نجد السلطان عمر بن عثمان بن إدريس يفر بعد أن أخذ  
رأى مستشاريه من العلماء وبحث معهم فيما ينبغى عمله إزاء هذا الخطر المحدق فنصحوه

بالهجرة نهائيا من كل أراضي كانم لأنهم شعروا أن عهد بقائهم فى العاصمة نجيمى قد انتهى ومن هنا استحالت معيشتهم فى كانم بأسرها .

وكان على السلطان عمر بن عثمان بن إدريس أن يتوجه إلى إقليم برنو غربى بحيرة تشاد واستوطن فى مدينة كاجا kaga وكانت تلك المدينة تعتبر دائما ملجأ لكل هارب أو مهزوم أو مطرود من امراء ومايات الأسرة السيفية خلال الحروب والفتن ، وذلك بعد أن وجد هؤلاء القوم المطرودين من كانم أنه من الصعوبة العيش بين أنهار كوتوكو kotoko ونهر لوجون Logon وذلك لأن بعض قبائل الكانمبو kanabo كانت تنتقل فى الأراضى الخصبة من نهر يوا yo على الجانب الغربى للبحيرة فى الإقليم الذى عرف فيما بعد باسم برنو ومن ثم دخلوا مرة ثانية فى صراع مع شعب الصو الوثنى So استمر فترة طويلة ، حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى ، لم تتحرك هذه القبائل وفرضت استقرارها وسيطرتها على سكان البرنو بعد أن قدمت بأعداد كبيرة من شعب الكانمبو خلف الأسرة الحاكمة ، حيث عاشوا شعبا زراعيا وكانت حياتهم أكثر استقرارا عما كانوا عليه من قبل فى أرض كانم حيث العدوان الدائم من شعب الصو وشعب البولالا ، وبمرور الزمن أصبحت برنو دولة قوية حيث غيرت الأحوال السياسية فى تلك المنطقة حيث استطاع السلطان عمر فى مدينة كاجا أن يستعيد قواته وأن يستقر ولكنه لم يستطيع أن يعود إلى كانم بسبب حكم البولالا الذين شملت سلطنتهم بالإضافة إلى الأراضى الواقعة حول بحيرة فترى fitri أراضى كانم كلها وصاروا قوة جديدة مسيطرة فى السودان الأوسط بحيث أصبح من الصعب على أية قوة أخرى أن تتغلب عليهم فى ظل ظروف ضعف حكام برنو الجدد .

ومنذ عهد السلطان عبد الجليل البولالاي والمائى عمر بن عثمان بن إدريس ، بدأ حكم البولالا الشامل للكانم ، وتبدأ بعد ذلك فترة كفاح ملوك برنو المطرودين من كانم للعمل على تدعيم عروشهم فى المنطقة الجديدة والعمل من أجل استعادة أرض أجدادهم من أيدي البولالا .

وهكذا نرى كيف طردت أسرة سيف أو الأسرة السيفية الحاكمة من كانم بعد أن طردت قبلا من العاصمة نجيمى فى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى ، وذلك بعد سلسلة من الكفاح الطويل الذى أدى إلى مقتل أربعة مايات من سلاطين كانم على يد سلطان البولالا عبد الجليل ، ومن ثم بدأ الصراع فى منطقة السودان الأوسط وبالتحديد حول بحيرة تشاد بأخذ بعدا جديد إذ كان على سكان البرنو أن يبدأوا الصراع من جديد ضد أبناء عمومته من البولالا لكى يطردونهم من الكانم ، وبهذا ينتهى عصر سيادة كانم على إقليم البرنو وبدأ عصر سيادة البرنو ، وفى ذلك يقول أحمد بن فرطو مؤرخ بلاط برنو فى عهد المائى إدريس الوماء أو مؤلف كتاب المائى إدريس الوماء لقد أراد الله أن تحتل كانم قبيلة البولالا

سكان فترى وسكان وادى واستحال طردهم منها حتى عهد السلطان إدريس بن علي بن أحمد المتوفى عام ١٥٢٦ م .

### شعب البرنو والصراع مع البولالا :

منذ أن طرد الماي ( سلطان ) عمر بن عثمان بن إدريس من كاتم ومن العاصمة نجيمي على يد عبد الجليل البولالي فقد بدأت أهمية البرنو كأقليم سياسى يظهر وإن كان السيفيون المهاجرون من كاتم قد تعرضوا للكثير من المحن فى فجر هذه الفترة التى تبدأ من أواخر القرن الرابع عشر الميلادى نتيجة صراعمهم المستمر لاستعادة أقليم كاتم من البولالا ونتيجة للفتن والدسائس والإنقسامات الداخلية بين أبناء الأسرة الحاكمة صراعا حول العرش

فضلا عن المنافسات الدموية بينهم وبين الطبقة الإقطاعية الارستقراطية من كبار الحكام والاسر وقد تمتع شعب الكانمبو فى موطنه الجديد بالاستقلال بعيدا عن سيطرة البولالا وقد نجح شعب الكانمبو فى دفع قبائل الصو إلى الجنوب واختلط الشعب الزاحف من الشمال مع بقايا السكان البدائيين ، وقد قام هذا الشعب الذى وصل إلى موطنه الجديد مع السلطان عمر بن عثمان بن إدريس ، لكن السلطان عمر بن إدريس قد توفى بعد استقراره فى وطنه الجديد بسبع سنوات حيث كانت مغادرته لكاتم فى عام ١٣٩١م ومماته عام ١٣٩٧م ثم تولى خلفه الماي سعيد والذى حكم سنة واحدة ( ٨٠١هـ / ١٣٩٨م ) ولم تطلق عليه الوثائق التى عشر عليها بارث أثناء رحلته الى برنو لقب سلطان أسوه بالسلطين السابقين من الأسرة السيفية ولكن لقب بلقب ملك ، وفى عهده تخلص البولالا من كل أثر للأسرة السابقة فى الكاتم واستمروا فى مطاردة الأسرة السيفية فى مقرها الجديد ، بل أنهم استطاعوا قتل الملك سعيد الذى لم يدم حكمه سوى سنة واحدة .

وتولى الحكم بعده السلطان قاضى افونوين إدريس ( ٨٠٢هـ / ١٣٣٩ - ١٤٠٠م ) والذى لم يطل حكمه عن عام واحد قاتل فيه البولالا أكثر من مرة لكنه سقط قتيلا فى ميدان المعركة وهو يقاتل أعدائه وأعداء شعبه وقد كان مصيرة هو نفس مصير سابقيه من الأسرة السيفية ومن هنا آلت الأمور بعد ذلك إلى السلطان برى بن إدريس الذى حكم فترة تقدرها المصادر بثلاثة وثلاثين عاما ( ٨٠٣ - ٨٣٥هـ / ١٤٠٠ - ١٤٣٢م ) ، لم يحدث طوال هذه الفترة اى اشتباك أو مناوشات مع البولالا ، ويبدو أنهم قد كفوا عن مهاجمة الأسرة المهاجرة إلى وطنها الجديد .

وتذكر الروايات التاريخية أن سلاطين البولالا سلاطين فترى قد فرضوا سيطرتهم على أرض كاتم وأنهم حكموا تلك الأقاليم فتره تقدرها تلك المصادر بستة وسبعين عاما وهم

ينعمون بالهدوء فى تلك الأراضى بعد ضمها لفترى وقد حكم السلطان داود نجالمى خمسة وعشرين عاما ، ثم بعده حكم السلطان شو اثنى و ثلاثين عاما ثم جاء بعده ابنه وارى Yari ابن شو الذى حكم تسعة عشر عاما وبذلك يكون حكم هؤلاء الثلاثة ستة وسبعين عاما ، بالإضافة إلى أن روايات أخرى تذكر أن البولولا استولوا على السلطة فى كاتم بعد ضمها لفترى من السلطان داود نجالمى وأنها استمرت تحت سيطرتهم لفترة تقدر بمائة عام .

كذلك فإن الهجوم البولالى إن كان قد توقف لفترة زمنية معينة إلا أن هجوم عرب جذام لم يتوقف حيث نجد السلطان عثمان بن إدريس يقوم بإرسال رسالة إلى السلطان المملوكى المصرى الظاهر برقوق يشكو فيها من اعتداءات أولئك العربان ويذكر فى هذه الرسالة أنهم أخذوا جماعة من أقاربه و باعوه فى الأقطار ، ذلك لأنه من المعروف أن عرب برنو كانوا يساعدون البولولا فى تحركهم العسكرى ضد الكانمبو بل أكثر من ذلك فإن بالمر يذكر أن هناك صلات عرقية و سلالية و صلة دم بين البولولا وبين العرب المعروفين باسم التنجور Tunjur ومع الإنقسامات الداخلية فى برنو بين أفراد الأسرة الحاكمة وعدم الإستقرار السياسى وحوادث القتل فى الحروب العائلية واستمرار الصراع العائلى إلا أن ذلك لم يمنع الخطر البولالى الذى كان جاسما على صدر كاتم أن يزداد بل يتحشر بالسلطين فى مواطنهم الجديدة فى برنو بل أن قوة البولولا كانت لا تزال قوة يخشى بأسها كما أن مايات برنو كانوا لا يزالون يواصلون كفاحهم لقمع الخطر البولالى المتزايد والضرب على أيدي سلاطينهم وقواتهم ومحاولة استعادة الشط الشرقى من امبراطورية البرنو ( الكاتم ) .

ونشاهد أن الأحداث الدموية بين البولولا والكانمبو قد ظهرت على مسرح الأحداث بصورة قوية فى عهد السلطان البرنوى جهادى بن أمالو الذى حكم خمس سنوات ( ٨٦١ - ٨٦٥ هـ ، ١٤٥٦ - ١٤٦١ م ) وقد هزم ذلك السلطان فى معركة عسكرية كان يدافع فيها عن أرض البرنو من الصراع ضد هجوم محمد بن عبد الله ملك البولولا مما يدل على أن البولولا قد بدوا مرحلة جديدة فى الصراع ضد الأسرة الحاكمة فى برنو بعد هدوء استمر نحو ستين عاما ويبدو أن الذى دفع البولولا وسلطانهم محمد بن عبد الله للقيام بالهجوم على أرض برنو ، أنه وصلت لديهم معلومات تفيد أن السلطان البرنوى جهادى بن أمالو كان يعد العدة لكى يقوم بعمل عسكرى ضد وجودهم فى كاتم إذ أنه عقد عدة اتفاقيات مع عرب واحة توات لكى يستعين بهم فى صراعهم ضد البولولا (ويذكر السعدى فى كتابه تاريخ السودان أن السبب فى تسمية واحة توات بأسمها أن مرضا أصاب بعض رجاله فى ذلك الموضع وكان ذلك المرض يسمى عندهم توات ، فأنقطع عن الموكب من اصابهم ذلك المرض واستوطنوها فعرفت باسم توات ، وكانت تقع إلى الشمال

الغربي من سلطنة برنو وكان سلاطين برنو يطلبون مساعدة أهلها عند الشدة نظرا لأهمية موقعها على طرق القوافل.

وتذكر الروايات أن السلطان جهادى امالو ( اسم أم الماي وهي من نبيلات الطوارق) قد قتل في تلك الحرب وهو يقاتل البولالا حيث كان مقتله في عام ٨٦٥هـ / ١٤٦١م وذلك أمام حاكم كانم البولالا سلما أو محمد بن عبد الله الكبير ( ١٤٤٧ - ١٤٦٥م ) وقد اشتهر ذلك الحاكم البولالى هذا في كانم بلقب كانم ما Kanem ma أى سيد كانم وكان نفوذ ذلك الحاكم البولالاى القوى قد بدأ يأخذ بعدا جديدا حيث أن نفوذ البولالا في القرن الخامس عشر الميلادى ، التاسع الهجرى قد بدأ يتسع على حساب الدول المعاصرة حيث أشار الحسن لوزان ( لبو الأفريقى ) أن نفوذ البولالا قد امتد في عهد السلطان محمد بن عبد الله الكبير غربا إلى مشارف مدينة تمبيكونو حيث أن نفوذه وغزواته قد امتدت إلى تلك الأقاليم .

### تغير ميزان القوى لصالح برنو :

بدأت سلطنة برنو تدخل مرحلة جديدة من الإزدهار في عهد السلطان على غازى الذى تولى الحكم فى الفترة ( ٨٧٧ - ٩٠٩هـ ، ١٤٧٢ - ١٥٠٤م ) حيث حكم ذلك السلطان فترة تقدر بثلاثة وثلاثين عاما ، حيث ظهرت تلك الشخصية القوية البارزة وسط تلك الأحداث من الصراع الداخلى فى برنو وتطلق عليه المصادر أيضا على جاجى بن دونمة نسبة إلى أبيه أو على زينب نسبة إلى أمه وهذا هو الإسم الأشهر . لكن الإسم الحقيقى هو على بن دوناما لكنه لقب بعلى غازى نظرا للغزوات التى قام بها وتمثل فترة حكمه فترة إزدهار واستقرار برنو .

حيث قام على غازى بعزل السلطان عثمان بن قاضى ( ٨٦٦ - ٨٧٠هـ / ١٤٦١ - ١٤٦٦م ) بحيث أصبحت اليد العليا فى برنو لعلى غازى فى توليه وعزل السلاطين وقد ذهب السلطان المخلوع عثمان بن قاضى إلى الشرق حيث استقر فى دارفور وكردفان .

ثم قام على بن دومانا ( على غازى ) باختيار السلطان عمر بن عبد الله خلفا للسلطان عثمان بن قاضى ولكن هذا لم يتولى الحكم أكثر من سنة واحدة ( ٨٧١هـ - ١٤٦٦م ) لكن الإبن محمد بن محمد قام بقتل السلطان عمر بن عبد الله ثم حكم خمس سنوات ( ٨٧٢ - ٨٧٦هـ ، ١٤٦٧ - ١٤٧١ ) .

وقد كان السلطان محمد بن محمد آخر سلاطين برنو من اسرة سيف وفرع داود حيث جاء بعدهم على غازى الذى عزل السلطان محمد بن محمد وكان هذا من سلالة إدريس أو بنى إدريس بن سيف ، حيث كانوا محاربين شجعان ورجالا أشداء ، قادوا البلاد إلى بر الأمان واستطاعوا أن يدعموا قوة برنو وأن يجعلوا منها أقوى دولة فى السودان الأوسط والغربى

وأن يسيطروا نقوذ برنو على مساحات واسعة من الأراضي ثم ضمها إلى برنو عن طريق الحروب وشن الغارات على القبائل الوثنية من أجل نشر الإسلام وادخال تلك القبائل في طوع سلطنة برنو .

وقد استطاع على بن دوناما ، أن يجعل اسم برنو ساطعا في سماء بلاد السودان الأوسط والغربي بعد أن كانت الحروب الداخلية والصراعات بين أفراد الأسرة المالكة قد مزقتها لفترة طويلة كذلك فإنه من خلال الوثائق إلى عشر عليها بارت في برنو فأنا نعلم أن السلطان على غازى ارسل حملات عسكرية شمالا إلى كوار وذلك لمحاولة قطع طرق الإتصال بين البولالا وبين الشمال كما أنه أول سلطان من سلاطين الأسرة السيفية المطرودة من كانم بفكر في استعادة تلك البلاد من البولالا .

ولذلك فإننا نجد أنه طلب مساعدة عرب وسكان واحة توات ومرابطيها والذين كانت تربطهم ببرنو وصلات وعلاقات وطيدة منذ فترة طويلة وقد كان ذلك الطلب من مرابطى توات في عام ( ١٤٧٨ م / ٨٨٣ هـ ) كما أنه عمل على رفع الكفاءة العسكرية لقواته بالحصول على الخيول لكي يستخدمها في حروبه ضد الأعداء البولالا الذين كانت توجد لديهم الخيول الكثيرة .

بل أن بالمر يذكر أن السلطان على غازى قد تابع سياسة إسلافه من حكام برنو الذين طردوا من كانم من محاولة استرداد اقليم كانم من سادتها البولالا ، بل أنه قد وفق في ذلك أكثر توفيق حيث جهز جيشا ضخما استطاع به أن يقضى على قوة جيش البولالا الذى كان يقوده بارى البولالالى إلا أن السلطان على غازى لم يستطيع أن يدخل نجيمى عاصمة الكانم ، واكتفى بما أظهره البولالا من هزيمة أمام قواته والقضاء على القوة الرئيسية المتمركزة في كانم إلا أنه لم يستطيع أن يكسر قوة البولالا نهائيا ، وعلى هذا فقد ظل البولالا العدو القديم لبرنو والتي كانت قد سيطرت على كانم تقف عقبة في سبيل التوسع البرنوى ناحية الشرق .

### استعادة كانم من البولالا :

تولى عرش برنو وإدارة دفة الأمور بها بعد وفاة السلطان على غازى ابنه السلطان إدريس بن على بن دوناما ، والذي لقب باسم كاتاركامابى وظل في الحكم إثنين وعشرين عاما ( ٩١٠ - ٩٣٢ هـ / ١٥٠٤ - ١٥٢٦ م ) وهو الإبن القوى الشجاع للسلطان على غازى ففي عهده احتلت برنو مركزا قويا وممتاز بل مرموقا بين دول السودان الأوسط والغربي حيث أن ذلك السلطان قد أبدى اهتماما خاصا دون اهتماما في الدولة الأخرى بإنشاء جيش قوى بل تقويته بحيث يكون أقوى جيوش في المنطقة بحيث نجد أنه عمل على تسليحه بأحدث ما وصل إليه العصر من أسلحة خاصة فإنه أكثر من استخدم الخيول بين صفوف



قواته بحيث أصبح سلاح الفرسان أقوى الفرق العسكرية فى جيش برنو ، بل أنه سلح المشاة بالدروع الواقية ذلك من أجل تحقيق حلم إسلافه فى استعادة مقاطعة كاتم أرض أجداده من يد البولولا ومن هنا فإن الماى إدريس بن على قد أكمل سياسة أبيه على غازى وبدأ بمشروع ظل حبيسا فى أنفـس سلاطين الكانمبو منذ طردهم من نجيمى عاصمة البولولا وهو اخضاع البولولا واستعادة الكاتم من أيديهم ، حيث أنه لم يأت عام ( ٩١٣هـ - ١٥٠٧م ) حتى أصبح حلم أجداده حقيقة واقعة وذلك بانتصاره على أمير البولولا دونما بن عبد الجليل وفتح مدينة نجيمى العاصمة القديمة لإمبراطورية كاتم برنو ، حيث أن خروجه لقتال البولولا لم يكن قد مضى على توليته عرش البلاد أكثر من ثلاثة سنوات مما يدل على أنه أكمل مسيرة أبيه حيث أن أبيه على غازى كان قد وضع الخطط العسكرية لطرد البولولا من نجيمى عاصمة أجداده ومن هنا كان خروجه على رأس جيشه بعد ولايته العرش بوقت قليل ، حيث أنزل هزيمة ساحقة وكبرى يحاكم البولولا الذى بحكم كاتم فى عاصمتها القديمة نجيمى وتم الأتصار على دونما بن سالم البولالى وذلك بعد دخوله العاصمة نجيمى ، بحيث لم يسع الحاكم البولالى أمام تلك الهزيمة القاسية إلا أن يعلن الدخول فى طاعة السلطان إدريس بن على وأن يخضع لها الخضوع النهائى وأن يدفع الجزية .

وفى ذلك يقول الإمام أحمد بن قرطو مؤرخ بلاط برنو فى كتابة الماى إدريس حاكم برنو بعد أن أصبح إدريس ابن على خليفة فى أرض برنو ، فإنه حشد جيشا كبير فى الحمر ( يقصد كله الحمر ذلك القوم من القبائل العربية صاحبة البشرة البيضاء والحمره وقد كان ذلك اصطلاح يطلق على القبائل العربية تميزا لها عن السود ) والسود وتوجه إلى أرض كاتم وحارب السلطان دوناما بن سلما وانتصر عليه ، ومن ثم بعد تلك الإنتصارات فقد هرب دوناما مع فلول جيشه المهزومة .

ودخل الجيش المنتصر بقيادة إدريس مدينة شيما Sima ( وهى مدينة نجيمى العاصمة القديمة لسلاطين الكاتم بل هى العاصمة الشهيرة عند الملوك السيفيين وأقام بها فترة من الزمن ) على أن الإستيلاء على نجيمى لم يؤدى إلى نقل عاصمة برنو ( برنى ) إليها أو اقامة سلاطين برنو فيها بل ظلوا فى عاصمتهم الجديدة التى قام السلطان على غازى بتشيدها وعلى هذا فقد استطاعت جيوش إدريس المنتصرة أن تطرد البولولا نهائيا من العاصمة ومن كل كاتم وإعادتها إلى حظيرة الإمبراطورية بعد مائة واثنين وثلاثين عاما من طرد السلطان داود منها .

بل ومن طرد السلطان عمر بن عثمان بن إدريس منها فى عام ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧م ، ومع ذلك فإن العاصمة نجيمى العاصمة القديمة للسلطنة التى قام المايات البونونيين بتجهيز القوات العسكرية لأجل تحريرها من أيدي البولولا لم تعد العاصمة السياسة الأولى للسلطنة

بل أنه بعد تحريرها أصبحت شبه مهجورة ومن هذا التاريخ أصبحت كاتم جزء من إمبراطورية برنو ، بعد أن كانت برنو جزء من إمبراطورية كاتم وكان السلطان إدريس بن على ، قد رضى بأن يتولى عرش كاتم السلطان البولالى المهزوم دونما بن سالى ( عبد الجليل ) لكنه فرض عليه أن يخضعه خضوعا نهائيا للإدارة المركزية البرنوية فى العاصمة برنى بل أنه فرض عليه أن يدفع جزية سنوية لبرنو .

ولكن عندما مات الملك دوناما بن عبد الجليل ، فقد تولى أمور كاتم من بعده أخيه الملك آدم بن عبد الجليل ولذلك فأنا نجد أن السلطان إدريس قد اضطر إلى أن تجهز قواته العسكرية ويزحف إلى كاتم مرة ثانية لكي يقاتل آدم بن عبد الجليل الذى أعلن العصيان والخروج عن طاعة الدولة فى العاصمة المركزية برنى ومن ثم هزمه السلطان إدريس وقتل الأمير آدم فى هذه المعارك واضطر السلطان إدريس أن يمكث فى كاتم فترة طويلة وذلك لكي يدعم وينظم الأمور فى البلاد وأن يحكم سيطرته على كاتم ، ومن ثم أخطر أمراء البولالا أن يدفعوا الجزية سنويا لبرنو ، فى نفس الوقت ظلوا تابعين تبعيه اسمية لمئات برنو ، فضلا عن أن البولالا لم ينقضوا نهائيا وأن سلطانهم لم ينتهى نهائيا ، بل أنه فى نفس الوقت ظلت البولالا شوكة فى جنب برنو ، فلم يتعد نقود برنو الجديد أرض الكاتم ، بل بعض مساحات صغيرة ومحدودة تخف بالشواطىء الشرقية لبحيرة تشاد رغم انتصارات برنو فى كل هذه الحروب ورغم حملاتها المتكررة على كاتم .

وكما ظل البولالا شوكة عظيمة فى جنب برنو ورغم أن السلطان إدريس بن على قد ظفر بالعديد من الإنتصارات عليهم ، الأ أن البولالا ظلوا يسيبون المتاعب للسلطة المركزية مما اضطر حلفاء السلطان إدريس بن على أن يرد على نفس سياسته فى متابعة الضرب على أيدي البولالا وإنزال الهزائم بهم كلما لاحت الفرصة لهم وكلما أحسوا بأن هناك خطر قد يأتى من الشرق من ناحية كاتم حيث البولالا لازالوا يشكلون ذلك الخطر ومن هنا فانا نجد السلطان محمد بن إدريس بن على غازى الذى ولى الحكم خلفا لوالده قاهر البولالا إدريس والذى حكم فترة تقدر بتسعة عشر عاما ( ٩٢٣ - ٩٥١هـ / ١٥٢٦ - ١٥٤٥م ) قد سار على سياسة والده وكان سلطانا قويا شجاعا ، نجح فى كل الميادين وحقق نجاحا عسكريا ساحقا فى الحروب التى خاضها ، وذلك بأن أرسل قواته العسكرية ضد البولالا فى كاتم حيث قام بقتل الأمير قاضى بن عبد الجليل أمير البولالا فى كاتم ، وذلك لأن الأمير البولالى كان قد عمل على مهاجمة السلطان محمد بن إدريس بعد توليه العرش فى برنو ولم يمض على توليته عرش البرنو أربعين يوما وذلك انتقاما من الهجمات الساحقة التى قام بها والده السلطان إدريس على بلاد كاتم واخضع البولالا فى كاتم خضوعا نهائيا لسلطنة برنو ، ومن ثم نجح محمد ابن إدريس فى اخضاع كاتم لولايته المباشرة .

وتولى إدارة شؤون السلطنة فى برنو وحكمها بعد السلطان محمد أخيه السلطان على بن إدريس والذى حكم عاما واحد ( ٩٥٢هـ - ١٥٤٥م ) وكان سلطانا عادلا ورعا ومحاربا عظيما شجاعا ، نجح فى بقاء كاتم مرتبطة بحكم برنو وقد عرف السلطان على باسم على حارق البولالا وذلك لأنه سار على سياسة والده السلطان إدريس وأخيه السلطان محمد فى قتال شعب البولالا وكسر شوكته والعمل على عدم اتاحة الفرصة أمامه لتحقيق أية انتصارات أخرى على شعب الكانمبو والكانورى ، لذا ترى أنه هزم سلطان البولالا عبد الرحمن ( ١٥٣٠ - ١٥٥٤م ) واستطاع أن يأسر ثلاثة من ابنائه ويأخذهم معه أسرى إلى العاصمة برنى بعد أن قاتلهم خمسة أيام متصلة واستطاع أن يشتت شمل البولالا ، حتى أن بعض أبناء عبد الرحمن الذين لم يقعوا فى الأسر فروا بشعب البولالا إلى الشمال طلبا للنجاة وسعيا وراء الإختفاء عند سكان تلك المناطق . وقد تزوج السلطان على بن إدريس من أميرة من البولالا وهى التى أنجبت السلطان إدريس الروما حيث كان زواجه منها فى عام ١٥٤٥ . وقد قتل السلطان على وهو يقاتل البولالا فى أرض كاتم بالقرب من نجيمى ، وهذا دليلاً على أن البولالا لازالوا يشكلون خطرا على أمن دولة البرنو وذلك لإستمرار القتال والحروب بين الطرفين وقد قام السلطان على بن إدريس الذى لقي حتفه وهو يحارب البولالا بعد أن إزلهم قد لقب بأنه دخان البولالا أو حارق البولالا كما سبق ذكر ذلك وفى ذلك يقول أحمد بن فرطو فى كتابه الذى ترجمه بالمر إلى اللغة الإنجليزية عن السلطان إدريس الروما وسنوات حكمه الأولى أن أهل كاتم جميعهم قد خضعوا للمامى على وبذلوا له الطاعة .

وقد آلت أمور السلطنة فى برنو بعد مقتل السلطان على بن إدريس بن على غازى إلى ابن أخيه السلطان دوناما بن محمد بن إدريس بن على غازى الذى لقب باسم جاما رامى وقد حكم تسعة عشر عاما ( ٩٥٣ - ٩٧١هـ / ١٥٤٦ - ١٥٦٣م ) والذى عاصر سلطان البولالا محمد عبد الجليل بن قاضى والذى ولى أمور البولالا بعد السلطان عبد الرحمن ، واستطاع السلطان دوناما بن محمد أن يهزمه عندما حاول قائد البولالا محمد بن عبد الجليل بن قاضى مهاجمه برنو ، وأن تدور معركة بينهما فى بربروا Berberuwa ولكن السلطان دوناما هزمه شر هزيمة بل وتبعه فى كاتم حيث هزمه مرة ثانية واستطاع أن يبعد عدد كبير من رجال البولالا الكبار من أرض كاتم وبذلك استقرت الأمور فى كاتم نوعا ما وظلت مرتبطة ببرنو ولم يعد بعد ذلك أهل هذا الإقليم من البولالا فى القيام بأى عمل ضد برنو بعد أن أذاقهم السلطان دوناما الهزيمة القاسية وأسر معه كبار رجال الدولة والبلاط وأخذهم معه رهينة إلى برنى عاصمة البرنو وولى السلطنة فى برنو بعد وفاة السلطان دوناما بن محمد بن إدريس ابنه السلطان عبد الله ( دالا ) ابن دوناما والذى حكم سبعة أعوام ( ٩٧٢

- ٩٧٨هـ / ١٥٦٤ - ١٥٧١م ) فانتهاز الفرصة المواتية له الأمير البولالى محمد بن عبد الجليل الذى كان قد عاد إلى كاتم مرة أخرى والذى كان لا يزال يحكم كاتم فى الأجزاء الشمالية من البلاد وقام بغارة كثيفة على برنو وصحب معه فى هذه الغارة شعبه وأمراته ورؤساء الأقاليم والمدن واستمر فى الإغارة على برنو ليل نهار ، كما كان يفعل فى عهد السلطان دوناما ابن محمد ولم يقلع عن عادته فى الإغارة على برنو حتى موته وعندما تولى الأمير محمد بن عبد الجليل بن قاضى البولالى تولى بعده ابنه عبد الله ، وبذلك لم يستطع البولالا وسلطانهم الجديد عبد الله الدخول فى معركة وجها لوجه مع شعب البرنو وسلطانهم بل استمروا فى الإغارة على الحدود والقيام بأعمال السلب والنهب .

كما أن عصر السلطان إدريس الومما الذى تولى مقاليد الأمور فى برنو لفترة ثلاثة وثلاثين عاما ( ٩٧٩ - ١٠١١هـ / ١٥٧١ - ١٦٠٣م ) قد قام باحضار الأسلحة النارية الحديثة من مصر وطرابلس وذلك بعد تأدية فريضة الحج ، بل أنه درب عدداً كبير من رجاله على استخدامها وبذلك ضمن السلطان البرنوى بجيشه التفوق العسكرى فى كافة المعارك التى يدخلها ضد أعدائه كما ضم إلى جيشه بعض الجنود والضباط الأتراك والطرابلسيين وبعض المصريين الذين صاحبهم معه فى طريق عودته بعد أداء فريضة الحج ، ومن هنا فإنه استطاع أن يحقق العديد من الإنتصارات التى منها الإنتصارات المتعددة على شعب البولالا كما ذكر ذلك على أبو بكر فى رسالته للدكتوراه ( الثقافة العربية فى نيجيريا ) أنه قام بإخضاع قبائل البولالا سبع مرات ، وذلك لأن السلطان عبد الجليل قائد البولالا ، قد حشد قواته وتحرش بالسلطان إدريس الومما ، بعد أن قدم إلى أراضي برنو وقدم عبد الجليل ليقاتل السلطان إدريس وكان معه أعداد قليلة من الجنود ويبدو أن تلك العملية التى قام بها أمير البولالا كان القصد منها الإغارة على الحدود والقيام بأعمال السلب والنهب والخطف والإعتداء على الأهالى سكان الحدود بين كاتم وبرنو وقد دارت بين الطرفين معركة لم يصمد فيها قائد البولالا لكنه انهزم فى منتصف النهار وانكسرت قواته مما اضطره إلى الفرار والإنسحاب إلى الشرق وتبعهم السلطان إدريس حتى اختفى لهم كل أثر وذلك لأن الأسلحة النارية حققت له الإنتصار السريع لأن تلك الأسلحة لم تكن معروفة فى السودان الأوسط والغربى لذا كانت خطته التى يتبعها فى قتاله مع عدوه أن يقاتله بال سلاح الأبيض والأسلحة المستخدمة فى ذلك الوقت حتى إذا حمى وطيس القتال أصدر الأوامر للجنود الحاملين للأسلحة النارية ( البنادق ) أن يطلقوها طلقة رجل واحد فلا يسع العدو إلا أن يولى أذباره مذعورا ومهرولا تاركا ورائة مئات من القتلى والجرحى .

وقد سجل أحمد بن فرضوا فى كتابه حروب السلطان إدريس الومما . التى منها حربه ضد الكاتم حيث ذكر الحملات الحربية التى شنها على كاتم وحكامها البولالا وسبب هذه

الحروب رغم الصلة القائمة بين كاتم وبرنو ، إلا أن من الأسباب القوية التي دفعت السلطان إدريس إلى القيام بغزواته على أرض كاتم عدة مرات أن مغتصباً من البيت البولالي استولى على العرش فى كاتم وطرد السلطان ( الأمير ) القائم بالحكم الذى كانت تربطه صلة نسب ورحل مع السلطان إدريس الوما ، مما اضطر السلطان إدريس إلى القيام بشن الحرب عليه ورغم انتصار السلطان إدريس فإنه منى بخسائر فادحة ، لكنه نجح فى إعادة الأمير المخلوع إلى عرش كاتم وارجاع كاتم إلى الهدوء والتبعية وقد كانت تلك الحملات عام ( ١٠٠١ هـ / ١٥٩٢م ) والتي جاء وصفها وذكرها عن أحمد بن قرطوا حيث قال لقد وصلت إلى بورنو والسلطان إدريس الوما أن السلطان عبد الجليل ، السلطان البولالي المناوى ، فقد قدم جيشه أمام السلطان محمد بن عبد الله حليف وصهر السلطان إدريس الوما وذلك فى معركة شمال كاتم فى يوم الأربعاء فى شهر جمادى الآخرة عام ١٠٠١ هـ وما النصر إلا من عند الله ، وبلغنا أن السلطان الحاج إدريس الوما هاجم السلطان عبد الجليل فى مدينة كياكا Kiyayaka ومن ثم فقد لاذ السلطان البولالي عبد الجليل بالهروب واختفى فى الصحراء ونجح السلطان إدريس فى ضم القبائل البدوية واخضاعها تحت نفوذ وحكم السلطان محمد ابن عبد الله محمد صهر وحليف الماى إدريس ، وذلك لكى تكون تلك القبائل اليدوية التى تسكن شمال كاتم سنداً قويا بل دعماً لقوة السلطان محمد بن عبد الله وتقف ضد أى هجوم يقوم به السلطان عبد الجليل وقد ساندت وأيدت تلك القبائل فيما بعد السلطان محمد بن عبد الله صهر السلطان إدريس وقد أقام السلطان إدريس ثلاثة أو أربعة أيام فى كاتم صحبه صهره وذلك فى مدينة كاسودا Kasuda وذلك بعد أن كان السلطان إدريس قد قام باستدعاء السلطان محمد بن عبد الله البولالي ، الذى لى ذلك الطلب وقدم معه كل قواته العسكرية طرف السلطان إدريس ، ومن ثم فقد تم الإتفاق بين الطرفين البولالي والبرنوى بقيادة محمد بن عبد الله والسلطان إدريس الوما على رسم الحدود التى توضح حدود كاتم وحدود برنو مع خضوع سلطان البولالا لسلطات برنو ودفع الجزية السنوية والتوقيع على كل ما تم الإتفاق عليه والتي منها ضم بعض المناطق التى كانت جزاء من كاتم إلى برنو والتي منها مقاطعات كاجوستى ، وسييرو ، وباباليا فى باجرمى ، مما يدل على أن كاتم كانت تسيطر على أجزاء فى أراضي باجرمى فى ذلك الوقت ، وقد كانت كل هذه الأراضي تقع ضمن الأراضي التى تسيطر كاتم عليها وتبسط نفوذها من قبل برنو لكن تلك الإتفاقية حددت الحدود السياسية على أسس جديدة تختلف عما كان عليه الوضع فى السابق وبعد ذلك فإن السلطان إدريس قرر منح السلطان البولالاي محمد بن عبد الله حكم كاتم وهذه الأجزاء الباقية وأخذ عليه قسماً هو وقومه على القرآن الكريم أن يظلوا مدى حياتهم على الولاء والطاعة لسلطات البرنو وعدم الخروج عن تلك الطاعة وعدم القيام بأى

عصيان من شأنه أن يعكس جو العلاقات بين الطرفين ومما يجب التنويه إليه هنا أن ما أورده أحمد بن فرطوا بشأن الإتفاق بين السلطان إدريس الروما والسلطان محمد بن عبد الله البولالاى بشأن الحدود السياسية بين كاتم وبرنو فإن ذلك وإن كان قد حدث فى الربع الأخير من القرن السادس عشر الميلادى إلا أن تلك قد تكون هى أول ظاهرة سياسية بشأن تعديل وتوضيح الحدود السياسية فى تلك البقعة من أفريقيا حيث السودان الأوسط ، حيث أن تلك المناطق لم تكن تعرف تعيين حدود سياسية رسمية معينة .

ويبدو أن الذى ساعد إدريس الروما على تحقيق تلك الإنتصارات السريعة على البولالا أنه كما جاء فى أقواله أنه تبنى فترة طفولته فى إقليم البولالا وقد كانت والدته أرسلته إلى إقليم البولالا خوفا من أن يقوم السلطان على غازى بقتله ولقد أرادت الماجرا عائشة كيلي التى كانت تتولى مقاليد الأمور فى بورنو أن تحضر السلطان إدريس من بلاد البولالا فإنها ذهبت إلى أرض البولالا ومعها شعبها ، ولكن عندما سمع البولالا بذلك فإنهم تجهزوا للحرب واستعدوا لها أكمل استعداد لكن الماجرا عائشة قالت لهم انها لم تأتى للحرب ولكن جاءت لكى تبحث عن ابنها أدريس والنظر فى أمره ، وبعد فترة تنازلت الماجرا عائشة عن العرش للسلطان ولقد كان جد السلطان أدريس لأنه هو سلطان البولالا السلطان عمر البولالاى الذى أمد أدريس بتسعمائة فارس بأسلحتهم وقد أوجب إدريس إلى طلبة ومن ثم عاد إدريس إلى بنغازى رجوما عاصمة برنى العاصمة السياسية لبرنو .

وتذكر الرويات أن السلطان إدريس قام بقتل رجال الفرسان البولالاين الذين صحبوه فى رحلته ولم يسمح بعودة إلا قائدهم الذى أخبر السلطان عمر البولالاى بما حدث ومن ثم أعلن السلطان عمر البولالاى الحرب على السلطان إدريس الذى كان على علم بخبر تلك الحملة ومن ثم فقد استعد لها كل استعداد وجاء جده أمير البولالا لمكان المعركة ولكن البولالاين هزمهم لأن السلطان إدريس كان قد أخذ زمام المبادرة ووقع الأمير عمر فى الأسر وسلب السلطان أدريس عن والده فقال له السلطان البولالاى أن والده قد جرح فى إحدى المعارك ثم مات بعد ذلك بعد أن كانت المعركة قد دارت فى برنى بنجامى ومن ثم قام السلطان إدريس بقتله .

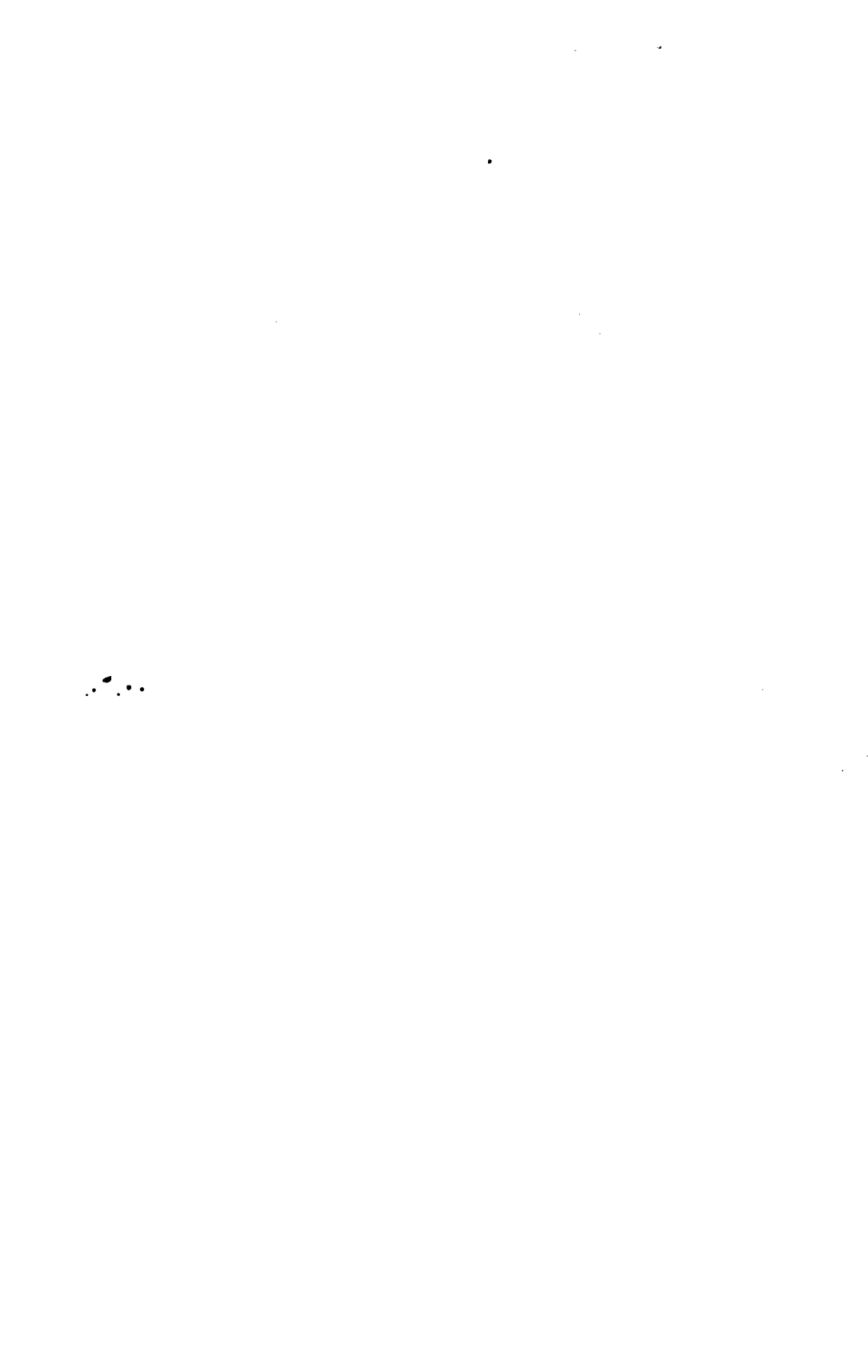
ولقد استطاع السلطان إدريس أن يجهز قوات تعدادها سبعين ألف جندى وهاجم أرض البولالا فى كاتم بعد أن كانت الحرب قد استمرت سبعة أيام بلياليها وهزم سلطان البولالا ومن ثم اضطر إلى القرار شمالا .

ومن ثم ذهب السلطان إدريس إلى ألوا Alwa وإلى مادوجو Madogo وماجرنى Magrne ومن ثم تابع إدريس انتصاراته مما اضطر البولالا إلى التراجع إلى منطقة بحر الجيران Guraan وفى آخر حرب بين كاتم وبرنو والبولالا فإن السلطان إدريس ضم أرض

كانم إلى رؤساء قواته ( كبار القواد ) وقسمها بينهم إلى عشرة أقسام جعل على كل قسم من هذه الأقسام رئيس مسؤول عن إدارة كل إقليم ثم بعد ذلك عاد إلى العاصمة برنى بل أن المخطوطات التي عثر عليها بالمر Palmer يشير إلى أنه عندما قام بغزو أراضي كانم فإن قواته من الفرسان كانت سبعين الف فارس وعند عودته إلى عاصمته فإن قواته لم تكن تزيد عن سبعمائة فارس ، ويبدو أن عصر السلطان إدريس الوميا والغزوات المستمرة التي قام بها على أرض كانم والحملات شديدة الوطأة قد وضعت حدا لنهاية الحرب بين البولالا والبرنو ، ومن ثم كان تقسيمه أراضي كانم إلى عشرة أقسام ووضع على رئاسة كل إقليم زعيم إحدى قواته لكي يكون مسئولا عنه كما أنه ضم بعض المقاطعات إلى برنو بعد أن قام بأقتطاعها من أراضي كانم .

ومن ثم فإنه بعد ذلك القتال النهائي والإخضاع الشامل لأراضي كانم فإننا لم نعد نسمع عن أية مخرشات أو عدوان بين كانم و برنو ، ذلك لأن إدخال السلطان إدريس الوميا للأسلحة النارية في برنو قد وضع حدا فاصلا لفرض السيطرة على كانم ، وبذلك طويت في عهد السلطان إدريس صفحات الصراع بين كانم بعد أن خضعت لنفوذ البولالا حيث كان طرد البولالا لسلطان الكانم عمر بن عثمان بن إدريس عام ١٣٩١م وإنتصار السلطان إدريس الوميا عام ١٥٩٢م أى أن الصراع استمر بين الطرفين فترة تقرب من المائتي عام كانت البولالا تحاول فيها أن تحتفظ بالأراضي التي سيطرت عليها في كانم بالإضافة إلى العدوان المستمر على أراضي برنو ، لكن عهد السلطات إدريس كان قد وضع نهاية لذلك الصراع وبدأ سكان البولالا يتقوقعون داخل أراضيهم حول فترى Fitri ولم ينظروا إلى الغرب حيث كانم برنو ، ولكن صراعهم كان مع واداي وياجرمي وسوف تشاهد بعضا من ذلك الصراع والصلات عند الحديث عن باب صلوات البولالا بالعالم الإسلامى .

\*\*\*





الباب الرابع  
الأحوال العامة بسلطنة  
البوالات



شمال شرق بحيرة تشاد قليلا تقع بحيرة فترى الصغيرة التي يقل حجمها عن ١٠٪ بالنسبة لبحيرة تشاد حيث تصب في تلك البحيرة ثلاثة أنهار صغيرة لكن تلك الأنهار وتلك البحيرة تكون حولها منطقة زراعية بالإضافة إلى صلاحيتها للرعى حيث تكثر حشائش والسفانا الطويلة التي تساعد على الإستقرار ومن هنا كان استقرار البولالا Bulala في تلك المنطقة بعد إختلاطهم بالعديد من الاجناس والقبائل التي كانت تسكن تلك المنطقة .

بالإضافة إلى أن القرن الرابع عشر شهد سيطرة البولالا Bulala على تلك المناطق الواسعة في كانم حيث المنطقة الواسعة حول بحيرة تشاد الواسعة وحيث الأنهار الطويلة التي تصب في البحيرة مثل نهر الغزال ( بحر الغزال في السودان الشرقى ) ونهر شارى وغيرهما الكثير من الأنهار القصيرة والصغيرة التي تصب في بحيرة تشاد حيث يشكل حوض البحيرة منطقة صالحة للزراعة والرعى على مسافات واسعة بعكس منطقة بحيرة فترى الصغيرة .

ومن هنا فإن تلك المنطقة الواسعة الممتدة من بحيرة فترى شرقا إلى منطقة بحيرة تشاد غربا بالإضافة إلى السيطرة على منطقة كانم وباجرمى فإن دولة البولالا كانت تتحكم في منطقة زراعية واسعة (١) .

بالإضافة إلى أن قبائل البولالا كانوا يهتمون بتربية الخيول حيث ملكوا اعداد كبيرة وعظيمة منها .

وقد ساعدت تلك الخيول على احراز الإنتصارات في العديد من الحروب التي دخلوها ، في حين أن أبناء عموماتهم السبقيون سكان كانم لم يحصلوا على سوى أعداد قليلة من الخيول التي كانوا يستعملونها في حروبهم (٢) .

بالإضافة إلى قبائل البولالا الكثيرة والذين أصلهم الكنمبو قد تشعبت منها مجموعات صغيرة من القبائل عملت كل قبيلة في حرف معينة والتي منها قبائل الوركود ، الديناجر الكنيما ، الكنيا ، المدوجو (٣) .

وعلى ذلك فإن الحديث سوف ينصب على النواحي الإقتصادية لاسيما الموارد الزراعية والنباتية حيث أن بالمر Palmer اشار إلى شعب البولالا سكان فترى وكانم قد كانت بينهم مجموعات كبيرة رعاة آبل وخيول أى أنهم يعملون بحرفة الرعى (٤) إضافة إلى أن هناك

( 1 ) Tramingham . J Ahistory Of Islam In West Africa . P 113 .

( 2 ) Palmer : The Bornu Shara and Sudan . P 12 6 .

( ٣ ) الشاطر بصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط . ص ٤٣٥ .

( 4 ) Palmer, R : Opcit . P 14 b .

مجموعات أخرى كانت تعمل بالزراعة حول حوض بحيرة فترى وبحيرة تشاد وفي أحواض الأنهار المتعددة التي تصب في فترى وتشاد إضافة إلى أن بعض السكان كانوا يعملون في حرفة صيد الأسماك في بحيرة تشاد وفترى أيضا (١).

ولما كانت أرض فترى وكاتم أرض خصبة فأنها جادت للزراعة وغلت المحاصيل الكثيرة وساعد ذلك على ازدياد الثروة الحيوانية حيث الرعى ومناطق الرعى الوفيرة وحيث تربية الإبل والخيول وغيرها من أنواع الماشية الأخرى فمن الناحية الزراعية التي اشتهرت بها بلاد البولالا بكثير من الخيرات المتنوعة (٢) وقد أشار القلقشندى في كتابه صبح الأعشى إلى بعض هذه الميزات الزراعية الوفيرة فقال إن غالب عيشهم على الأرز الذي توافر عندهم والذي كان بمثابة غذاء شعبي رئيسي جادت به أرضهم وفاضت وكان ينمو ويتكاثر بريا بغير سقاية أو رعاية أو تعهد (٣) كما أنه توجد في بلادهم زراعة القمح والذرة وأنواع الفواكه متوفرة بكثرة حيث يوجد الليمون والتين الرطب (٤) ويضيف المقدسى إن بلادهم توجد بها الفواكه الكثيرة والأطعمة وحشائش أخرى تنمو في هذه البلاد .

وعلى هذا فإن أهل هذه البلاد يمارسون الزراعة وتقوم بعض المجموعات اليدوية بتجاره رعى الإبل والماشية وزراعة المحاصيل الزراعية ، كما أن اقتصاديات إقليم فترى وكاتم تقوم على ثمار النخيل والقمح والذرة وبعض الخضروات والبصل والطماطم والبطاطا وغيرها من اللحوم والجلود والزبد مع أهل الواحات الغربية (٥).

كذلك فإن الأجزاء الشمالية من البلاد قد انتشرت بها أشجار النخيل فكانت كثيرة حتى أنهم اعتمدوا عليها وعلى ثمارها كثيرا في غذائهم اليومي ، ولما كانت أشجار النخيل تتحمل الجفاف والعطش ولا تحتاج إلا إلى اليسير من الماء ، فإن ذلك ساعد على انتشارها في مناطق عديدة من دولتهم المترامية الأطراف (٦) وخاصة تلك المناطق الشمالية المجاورة لمصر وليبيا حيث كانت جميعها تخضع لسلطان البولالا عندما بسطوا نفوذهم على كاتم

(١) ابن سعيد : بسط الأرض ص ٤٨ .

(٢) ريمون فيرون : الصحراء الكبرى ، ترجمة جمال الدين الدناصورى ص ١١٤ .

(٣) العمري : المسالك ، ج ٢ ورقة ٤٩٠ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ص ٢٨٠ .

(٥) الشاطر بصيلي : نفس المرجع ص ٤٣١ .

(٦) ابن سعيد المغربي : بسط الأرض ص ٤٩ .

وقد أمدت بلادهم فى الجنوب بكميات هائلة من البلح الرطب والتمر بصفة خاصة(١).

أما فى الجنوب حيث أنهار شارى ولوجون والغزال وغيره من الأنهار القصيرة فقد انتشرت أشجار الموز التى كانت تنمو نموا برىا والذى كان المواطنون فى فترى وكانم يميلون إلى آكلة حيث كانت محاصيله كثيرة ومتوفرة(٢).

كذلك اشتهرت مدينة جاجه GaoGa التابعة لفترى التى كانت تقع على الحدود بين فترى وكانم بخصوبتها وجادت بعطائها حيث تنوعت فيها المحاصيل والخيرات وذلك بالإضافة إلى وفرة خشب الأبنوس الذى يستفاد بخشبة فى منافع عدة ، كما توفر فى البلاد الكثير من القصب الذى ينمو برىا حيث استغله المواطنون فى صناعة القوارب لعبور بحيرة فترى وبحيرة تشاد وكذلك استغلوا هذا القصب فى صناعة منازلهم حيث أن منازلهم كانت مبنية من أعواد الخشب وقد اشتهروا بها(٣).

كذلك فإنه يمكن القول أن الكثير من المنتجات الزراعية من الحبوب والخضر بل وبعض الحيوانات التى عرقت فى بلاد البولالا وبقية بلاد السودان الأوسط والغزبى عامة قد وفدت أصلا من مصر منذ الأزمنة القديمة وذلك نتيجة للصلات والعلاقات المستمرة ومن هذه الحبوب والحيوانات(٤) ولقد كان اعتماد هذه البلاد فى الأساس منصبا لاسيما فى الوسط والجنوب على مصادر الأنهار والبحيرات التى عرقت فى البلاد ، مثل بحيرة فترى وبحيرة تشاد العظيمة ذات المياه العذبة وبحيرة كورى العميقة بمياهها الحلوة ونهر شارى ولوجون والغزال حيث تنبع هذه الأنهار فى المنطقة الإستوائية من الجنوب إلى الشمال وهى تشبه نهر النيجر تماما وتنتهى هذه الأنهار إلى بحيرة تشاد حيث تصب فيها ونهر شارى هو أعظم رافد لها(٥).

ويحدثنا ابن سعيد عن أنواع كثيرة من الحيوانات فى مملكة جاجه التى تحدث عنها الحسن الوزان أيضا فيقولوا انها موصوفة بالخصب وكثيرة الخيرات والطواويس والبيغاء والدجاج المرقط والغنم التى دون الحمير الصغار ولها صور تخالف صور كباشنا والزرافات(٦).

ويحدثنا ابن رسته فى كتابه الأعلاق النفسية عن حيوانات تلك المناطق فى السودان

( ١ ) اليقوبى كتاب البلدان ص ٣٤٥ .

( ٢ ) أبو القداء : تقويم البلدان ص ١٢٨

( 3 ) Wells, G : introducing Africa : P .8.

( 4 ) Johnston, H : The opening of Africa .P.20 .

( ٥ ) جونتبه : الصحراء ، ترجمة أحمد كمال يونس ، ص ٧٧ ص ٧٩ .

( ٦ ) ابن سعيد ، بسط الأرض ص ٢٧ .

الأوسط والغربي فيقول فيها حيوانات مختلفة الأشكال والأحجام أيضا مثل الفيلة التي توجد في البحيرات وفي الأنهار والتي كانت كثيرة العدد والطيور التي لم يرى أعظم منها حجما ولكنهم لم يستغلوا هذه الأفيال الكثيرة العدد ويستفيدوا منها في حروبهم الكثيرة التي عرقوا بها في سبيل نصره الإسلام ، كما لم يستغلوها في السلم للركوب والنقل<sup>(١)</sup> .

كما أشهرت الإبل عندهم حيث كانوا هم في الأصل رعاة للإبل والخيول والأغنام وأنهم كانوا يأكلون لحومها<sup>(٢)</sup> وعمل سكان الشمال من أهل البولالا ومن جاورهم في الإغارة في الشمال على تأجير إبلهم هذه الكثيرة لحمل السلع المختلفة إلى العديد من البلاد ، بل أن حاكم إقليم مانان Manan الذي كان يبعد عن نجيमी عاصمة الكانم بمسافة ثمانية كيلو مترات كان يملك الجمال والماعز وأنهم أعطوا عناية خاصة لتربية الماشية ، بل أن أهل فترى والكانم قد اصطادوا حيوان الزراف الذي كان يكثر عندهم في منطقة السفانا أو الغابات والذي اشتهروا به وتفنونوا في اصطياده وهم على ظهور جيادهم واستخدموا في اصطياد ذلك النوع من الزراف الخيال المسرجة بالإضافة إلى أنهم تسلحوا بالحرب المسمومة التي كانت تخدر الحيوان بمجرد إصابته<sup>(٣)</sup> .

كما اهتم حكام البولالا بتربية الخيول التي كانت تكثر في بلادهم بالإضافة إلى أنهم استوردوا الأنواع الجيدة من مصر وبلاد المغرب العربي بل أنهم عنوا عناية كبرى بهذه الخيول العربية وتدريبها ، حتى أن فرسانهم كانوا مصدر فزع ورعب للجيران ، لاسيما بعد أن ذاعت شهرة فرسان البولالا لاسيما بعد احرازهم العديد من الإنتصارات ضد أبناء عمومتهم سكان كانم حيث ذاعت شهرتها جميع الأقاليم الشاسعة بين النيل والنيجر<sup>(٤)</sup> . كما أنه توافرت لديهم الثروة السمكية حيث البحيرات تشاد وفترى وكوار حيث كان يصطادونها ويقومون بتمليحها ليصدرونه إلى بقية أنحاء البلاد ، كما كانت توجد بحيرة الشوك جنوب شرق كوار في داخل الأراضي التي خضعت لسلطة البولالا حيث كانت بحيرة عذبة ولم تكن عميقة بل كانت ضحلة مما سهل عملية صيد الأسماك منها حيث كانت تلك البحيرة تحدها عين تأتي من الجنوب<sup>(٥)</sup> هذا عن الزراعة والثروة الحيوانية والسمكية.

( ١ ) ابن رسته : الأعلاق النفيسة . ص ١٠٢ .

( ٢ ) الأدريسى : المغرب ص ٣٤ .

( 3 ) ALexander, B : from niger to Nile, Vol.2 P. 105 .

( 4 ) Shinnie, M : Ancient African kingdoms . P. 70 .

( ٥ ) ابن سعيد : بسط الأرض : ص ٤٨ .

أما من ناحية الحرف الصناعية فقد كانت مدينة جاجرا الواقعة شرق مدينة جاجة عاصمة البولالا والتي تقع قريبة من بحيرة فترى مشهوره بالصناعات التي تحتاج إليها دولة البولالا سواء في الأقليم الشرقي أو أقليم كاتم إلا أن سلاطين البولالا كانوا يولونها اهتماما خاصا نظرا لأهميتها في كثيرا من الصناعات التي منها الحدادة والفخار والغزل وغيرها من الصناعات التي يحتاج إليها المواطن ، كما أن تلك المدينة نظرا لموقعها على حافة بحيرة فترى فقد كانت مركزا للاسطول الحربى الذى كان يستخدمه السلاطين فى مقاتله أعدائهم لاسيما القيام بالغزوات إلى بلاد الكفار حيث سهل استخدام الطرق النهرية فى الوصول إليهم (١)

ولقد تطورت صناعة السفن فى تلك المدينة عندما تم اخضاع السلطان إدريس الروما سلطان برنو لتلك المدينة عام ١٥٩٣ م ، إذا إليه يرجع الفضل فى تطوير صناعة هذه القوارب إذ كان السكان قبل عهده يستخدمون القصب أو قطعة من الخشب مجوفة أو غير مجوفة فى عبور النهر وقد كان يطلق على هذه القوارب جاجارا Gagara نسبة إلى تلك المدينة وذلك بلغة أهل برنو .

ولكن السلطان إدريس الروما إذا أراد أن يعبر النهر إلى الأعداء فإن ذلك كان يستغرق منه يومين أو ثلاثة أيام وأن مثل هذا النوع من القوارب لا يصلح لكى تستخدمه أعداد كبيرة من الجنود ومن هنا فإنه أمر بضاعة قوارب كبيرة وذلك لكى يقوم الجنود فى أسرع فترة ممكنة بالانتقال إلى الأنحاء المعادية ولكى يتم شحن هذه القوارب بأعداد كبيرة بالمعدات اللازمة للقتال (٢) .

والذى لا شك فيه أنه قام باستحضار أقوام من خارج برنو للقيام ببناء هذه القوارب التى ربما شاهد مثلها فى مصر أو عبر بها البحر وهو فى طريقه لتأدية فريضه الحج وبهذه القوارب استطاع مهاجمة قوارب قبائل بوددوما Budduma الصغيرة حيث سكان جزر بحيرة تشاد ، بل أنه أمر رجاله باغراق قواربهم مجرد رؤيتها وقطع الطرق النهرية عليهم ومدوامة الهجوم عليهم (٣) .

كذلك أشتهرت تلك الأماكن بصناعة أنواع من الفخار التى استخدموها كثيرا وزينوها من الخارج بنقوش عليها رسوم جميلة تظهر درايتهم وبراعة فنههم الشئ الذى يسر العين

( 1 ) Trimingham, J . s : History Of Islam in west Africa .P .119 .

( 2 ) Ahmed Ibn fartua : Mai Adris Aloomu .P. 33 .

( 3 ) Barth, H : Travels in North and central Africa . vol 3 .p 595 .

ويريح النفس واستخدموها كالأواني يأكلون فيها ويشربون بها في الحل والترحال<sup>(١)</sup> .

كما يدل على أن أهالي فترى وكانم من البولالا والمواطنون الذين احتوتهم تلك الإمبراطورية الواسعة والمترامية الأطراف قد صنعوا أنواعا من الأقداح المنحوتة من سيقان الأشجار الغليظة وكانت ذات أشكال متنوعة وقد اعتادت النساء أن يضعن فيه ما يتزين به ويتعطرن به من كحل وطيب وروائح ، كما أن تلك الأقداح قد جمعت بين الجودة الفائدة والجمال<sup>(٢)</sup> كما قامت في تلك البلاد منذ القدم أمكنه خاصة لصناعة الزعفران الذى استخدموه يتوسع في صناعة الثياب التى كانوا يصنعونها<sup>(٣)</sup> وقد اشتهرت كانم - بولالا- برنو بالمنسوجات المجسدة ، أى المدبوغة بالحر وهو الزعفران التى كانت تصدرها إلى البلاد الأفريقية المجاورة بحيث كانت تلك البلاد تحتاج إلى تلك الأنواع من المنسوجات نظرا لرخصتها عن الأنواع المستوردة من مصر وبلاد المغرب العربى وغيرها من البلاد الأخرى التى كانت تتعامل معها تلك الأقطار<sup>(٤)</sup> ومن هذه البلاد ، أى بلاد برنو كما ذكر ذلك ابن بطوطة فإنه كان يؤتى بالجوارى الحسان والفتيان وبالثياب المجسدة ولشهرة برنو بهذه الثياب أو بالمنسوجات عامة ، كانت الثياب تستخدم كعملة واشتهرت هذه الثياب التى كان يستخدم الزعفران فى صياغتها باسم دندى وقد تعامل سكان تلك المناطق بهذه الثياب كنوع من العملة السائدة والمعترف بها والمتعارف عليها التى كانوا يصنعونها ويجيدون صناعتها .

أما أهم هذه الصناعات التى لعبت دورا هاما فى الحياة العامة فى بلاد البولالا وكان لها أثر فعال فى تطور الحياة اليومية فى امبراطورية البولالا فهى صناعة الحديد ، حيث كانت تمثل أعلى مكانة وأرقى مرتبة وتدل على مقدرة أهل ذلك الإقليم الفنية والتطويرية حيث أن صناعة الحديد وأن كانت لاتزال تصنع بطريقة بدائية وغير متطورة بالقياس إلى ظروف العصر المحيط حيث القرن الرابع عشر الميلادى والخامس عشر والسادس عشر أو السابع عشر ، إلا أن صناعة الحديد كانت توضح مدى تقدمهم وتطورهم ومدى المامهم بهذه الصناعة ، فقد كانت صناعة الحديد من الصناعات التى عولت عليها الدولة كثيرا فى تقدمها وسد احتياجاتها فيما تحتاج إليه من أدوات لاسيما فى صناعة أنواع الأسلحة القتالية<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) ابن بطوطة : الرحلة ص ٦٧٩ .

( ٢ ) إبراهيم صالح بن يونس : تاريخ الإسلام فى كانم . برنو ص ٦٧ .

( ٣ ) Allen, G.B. Fisher : slavery and Muslim society In Africa P . 59 .

( ٤ ) إبراهيم طرخان امبراطورية البرنو الإسلامية ص ٢٦٥ .

( ٥ ) عبد الرحمن زكى : الدول الإسلامية بغرب أفريقيا ص ١٧٥ .



ولقد أظهرت الحفريات التي تمت فى مناطق كثيرة فى أراضى دولة البولالا أن جماعة الصوالتى كانت تقطن بالتقريب جنوب غرب بحيرة تشاد أنهم اشتغلوا بصناعة الحديد حيث كانوا قد وصلوا إلى منطقة بحيرة تشاد قبل القرن العاشر الميلادى بقليل ، كما أنهم استقروا على شواطئ البحيرة الشرقية فى اقليم المراعى شمال تشاد ، ويقال أنهم قدموا من الشرق من شواطئ النيل حيث نسبتهم تلك الأقوال إلى مهاجرى مملكة مروى القديمة التى أسقطتها دولة اكسوم الحبشية (١) .

وقد أثبتت الدراسات وحفريات علماء الآثار أنه كان لهذا الشعب حضارة عظيمة وأنهم شعب متطورا من الناحية الفنية والاقتصادية وأنهم بنوا قرى عديدة وشيدوا المباني بأنواعها من مختلف المواد حتى الحجرية منها (٢) كما كشفت الحفريات الحديثة عن مخلفاتهم الدالة على تقدمهم وتطورهم والذى يظهر فى اشتغالهم بصهر الحديد وغيره من المعادن التى شكلوها بنفس الطريقة التى عرقت فى وادى النيل والذين حققوا مكانة رفيعة فى صناعة الحديد والبارود وقد عاشت جماعة من الصناع المهرة المشتغلين بالحدادة إلى الشرق من بحيرة تشاد واشتهر كذلك الزغاوة بصفة خاصة بصناعة الحديد وأرتبط اسمهم بها وتعتبر الحدادة عملية وضيفة ومسيئة وارتبطت بالمهانة فى أذهان أهل هذه المنطقة جميعها ولذا كان الحدادين من الزغاوة منبوذين معزولين لا يتزوجون ولا يزوجون إلا بعضهم لبعض وكانوا يصنعون الحراب والسهام والأدوات الحديدية المختلفة التى نجد طلبا عليها (٣) .

وقد جلب النحاس إلى سلطنة البولالا ( فترى - كانم ) من إقليم وادى شمال شرق فترى كما استورد من تكدا التى كانت تقع شمال غرب برنو على مسيرة اربعين يوما من الزغاوة وكان سكان فترى يقومون باستخدام هذا النحاس فى كل ما يحتاجون إليه من صناعات وكانوا يستوردونه فى مقابل تصدير الثياب (٤) .

وقد استفادت سلطنة البولالا فائدة كبيرة بسيطرتها على كانم منذ عام ١٣٩٣ - ١٥٩١م ذلك قد وسع حدود سيادتها وضم إليها مناطق كثيرة بالإضافة إلى أن ذلك قد وفر لها السيطرة الكاملة على الطرق التجارية المارة ببلاها بعد أن ملكت القوة العسكرية التى قوضت بها دعائم الأسرة المالكة فى كانم وفرضت سيادتها على الأقاليم التى عرفت فيما بعد باسم باجرمى وقد أفادها ذلك فائدة كبيرة فى حركة التجارة عبر أراضيها وبذلك نجحت

( 1 ) Davidson, B : old Africa Rediscovered . P . 101 .

( 2 ) Crowder .M : The story of Nigeria . P . 36.

( 3 ) Arkell, A. J : History of the sudan . P 149 .

( ٤ ) ابن بطوطة : تحفة النظار من غرائب الأنصار وعجائب الاسفار ص ٢٩٨ .

سلطنة البولالا الفتية في أن تحقق أرباحاً طائلة نظراً لقوتها العسكرية وذلك من تجارتها وعمليات التسويق والوساطة وفي تجارة العبور والمرور بحيث كان بسط سيادتها على طرق القوافل التي تؤدي إلى الشمال حيث ( ليبيا وتونس ) وإلى الشمال الشرقي (مصر) وإلى وادي النيل<sup>(١)</sup> كل ذلك قد ساعدها على أن تكون بمركزها الجغرافي ملتقى لعدة طرق تجارية كانت تمر عبر أراضيها لاسيما بعد فترة سيطرتها على كانم ، مما هيا لها أن تتبوأ مكانة في عالم التجارة في تلك العصور لاسيما في القرن الرابع عشر إلى نهاية القرن السادس عشر كما منحها الثروة والغنى والشهرة ، بما أدى بها أن تستخدم كل هذه الموارد في تقوية جيشها مما مكنها أن تنهى الوجود السياسي في كانم وتسيطر سيطرة تامه على باجرمي وتمتد شرقا حتى وادى ولقد كان من أثر ذلك الجيش القوي الذي اعتمدت عليه أن وسعت حدود دولتها واعتمدت عليه في السيطرة على تلك المناطق الواسعة واخضاع التابعين لها أو أداء رسالتها التي تحملها من أجل الدعوة الإسلامية حيث كانت تلك الأسرة إسلامية منذ نشأتها الأولى ومنذ أن وطئت أقدامها تلك البقاع حيث أن الإسلام قديم في أصول تلك الأسرة التي دعت لنفسها نسبا عربيا قرشيا سيفا .

ومن ثم استفادت من موقعها الجغرافي المناسب للتجارة في السيطرة على طرق القوافل التجارية المتجهة شمالا عن طريق كوار فزان إلى البحر الأبيض المتوسط وشرقا إلى النيل<sup>(٢)</sup> وعلى هذا فقد كانت تلك المكانة الجغرافية في وسط القارة الأفريقية مما اكسبها مكانة تجارية في منطقة السودان الأوسط والشرقي والغربي حيث كانت تلك الطرق التجارية تصلها بهذه الطرق في تلك الأقاليم، ولقد كان القرن الرابع عشر الميلادي ، الثامن الهجري هو بداية الظهور كقوة اقتصادية وسياسية وعسكرية وذلك لتحكمها في منطقة انتهاء الطرق ، والطرف الجنوبي لهذه الطرق كما كانت تلك الفترة الزمنية هي فترة فرض السيادة على الطرق التجارية شمالا حتى بلما وفزان وكوار وارتبطت تجارة كبرى ببلاد مالي وبقية بلدان السودان الغربي حيث دخل نفوذها السياسي إلى مشارق تمبكتو كما اتصلت ببلاد الشرق الأدنى وأصبحت مناطق فترى وكانم والهوسا والبرنو محطات استراتيجية لخدمة الطرق التجارية العابرة للصحراء<sup>(٣)</sup> .

( 1 ) Davidson, B .: opcit . P. 112 .

( ٢ ) زين العابدين السراج : دولة كانم الإسلامية . ( رسالة ماجستير ) غير منشورة . ص ١٥٣ .

( 3 ) Fitzgerth, W : Africa . P11.

## طريق طرابلس - فزان ودوره فى نشر الإسلام واقتصاد البولالا :

كان هذا الطريق الذى يربط طرابلس شمالا يتجه إليها من الجنوب مباشرة وذلك لكونها محطة تجارية على ساحل البحر الأبيض المتوسط وباعتبارها بداية الطريق الصحراوى الهام الذى يتجه منها إلى قلب القارة الأفريقية<sup>(١)</sup> ولقد كان ذلك الطريق الذى يبدأ من طرابلس ثم يدخل حدود سلطنة البولالا فى أراضى فترى ثم كان ثم منها إلى مملكة البرنو وهو الطريق الجرمتمنى القديم الذى استخدم لربط تلك المدينة مع وسط القارة ثم بعد ذلك يتجه غربا إلى تاد مكة وبرنى وجاو وتمبكتو ثم غربا إلى دولة سنغاي<sup>(٢)</sup> وقد قام الجرماتين سكان غدامسى بدور كبير فى حركة الربط والصلة بين طرابلس وسكان فترى وكانم وبين بقية المناطق الجنوبية والغربية من القارة الأفريقية والذين كانت تجارتهم مع سكان الصحراء الغربية والذين ربطتهم علاقات مع الطوارق وكانت لهم وكالات تجارية فى مدن فترى وكانم والهوسا وسافروا إلى واحة توات وإلى مدينة تمبكتو<sup>(٣)</sup> .

لقد كان الطريق الذى يربط سلطنة البولالا فى فترى وكانم بمدينة طرابلس على ساحل البحر الأبيض المتوسط يتجه جنوبا إلى منطقة فزان التى كانت عبارة عن مجموعة من الواحات ذات الإتصال السهل بسواحل البحر المتوسط وجنوبا بمنطقة بحيرة فترى وتشاد وأشهر هذه الواحات التى ظهرت فى هذه المنطقة هى واحة زويلة وقد ظهرت زويلة كمركز تجارى وكمعبر هام من معابر الطرق الصحراوية منذ القرن الرابع الميلادى ، إلا أن جرمه كانت أكثر شهرة منها حتى دخول الإسلام إلى تلك المنطقة ومن ثم بدأت زويلة مكانتها مع بداية الفتح الإسلامى فصارت قاعدة بلاد فزان وقد كانت أقرب الأماكن شمالا إلى سلطنة البولالا حول فترى<sup>(٤)</sup> ولقد لعبت دورا هاما فى صلة الربط مع البولالا ومنها غربا وجنوبا ومن ثم بدأ دورها يتعاضم وتأخذ مكانتها بين مدن الصحراء الكبرى الهامة . ومنطقة فزان التى اشهرها واحة زويلة وقد امتد إليها وبالجنوب منها على وجه التحديد نفوذ البولالا وهى منطقة كبيرة تقوم فيها قصور ضخمة وفرى كبيرة وكلها مأهولة باناس أغنياء وفيها حدائق النخيل وهى بالقرب من أغاديس وعلى حدود صحراء ليبيا التى تتاخم مصر وكانت

( ١ ) Cooley, W.E : The Negro Land of the Arabs . P . 8 .

( ٢ ) نبيلة حسن محمد : انتشار الإسلام فى غرب أفريقيا ( رسالة ماجستير غير منشورة ) ص ١١٤ .

( ٣ ) Cooley, Opcit . P 11 .

( ٤ ) ابن سعيد : بسط الأرض فى الطول والعرض . ص ٦٢ .

حدود مصر هي نهاية حدود سلطنة البولالا شمالا شرقا ، وهي على مسافة ستين يوما على طريق القاهرة ولا يوجد بين فزان ومصر مناطق مسكونة سوى واحة أو جلة الواقعة في صحراء ليبيا<sup>(١)</sup> .

ومع كل هذا فإن هذا الطريق كانت توجد به مناطق كبيرة خالية من الماء بحيث لا تستطيع القوافل الثقيلة الحَمَل عبوره إلا في خطورة بالغة وبالرغم من ذلك فإن تجربة الزمن أثبتت أنها أهملت لعدم وجود الآبار أو المراعى على هذا الطريق وغيره من الطرق الثلاث التي كانت تربط سلطنة البولالا بالعالم الخارجى ، فإن طريق طرابلس - فزان كوار - فترى ، كان يوجد به الضمان الأكبر حيث الماء والكلأ والمراعى التي تستوجب اتخاذ القوافل لها كمحطات على الطريق<sup>(٢)</sup>، ولا يوجد أدنى شك في أنه أسهل طرق القوافل عبر الصحراء ، وكان استعماله دائما بالرغم من أن طريق كوار فزان كان يحمل الكثير من المواد من الشمال إلى الجنوب الا أنه كان طريق يستخدم للأغراض الأقل أهمية من حيث الإستيراد والتصدير إلى فترى وكاتم ، ولقد كانت أغاديس التي يمر بها طريق فزان كوار تمثل أراضي البولالا منطقة ربط وصلة في هذا الطريق الطويل الذى يأخذ اتجاه غربا بعد عبور أراضي كاتم - فترى ولكن قضاء المغارية ( السلطان المنصور السعدى عام ١٥٩١ ) على إمبراطورية سنغاي حيث مصدر الذهب أدى إلى زوال هذه الأهمية بعض الشيء كما أن قضاء السلطان إدريس روما سلطان برنو على قوة البولالا العسكرية عام ١٥٩٣م قد وضع حدا لسيطرة البولالا على هذه الطرق<sup>(٣)</sup>

وإن استمرت مستودعا للملح الذى كان يستخرج من واحة بلما بين كوار والهوسا حيث كانت بلما تقع داخل حدود سلطنة البولالا ، وساعدها على ذلك أن أراضيها غنية بالمراعى التي يمكن أن تعول آلاف الرؤوس من الإبل والتي كانت عماد هذه التجارة ، كما سافر تجار طرابلس وفزان عبر هذا الطريق سالكين داخل أراضي البولالا إلى امارات الهوسا وبرنو وبدورهم ربما اتجهوا غربا إلى جاو ثم تمبكتو وتجاروا مع بلاد داخل القارة ، وظهر تجار تشاد وتجار غدامس وفزان فى كل بلاد السودان فى فترى وكاتم وبرنو وامارات الهوسا وتمبكتو غربا ولقد كان تجار الشمال يستخدمون الطريق إلى فزان من بلاد تونس ومصر ومنها يذهبون إلى أقاليم الصحراء وبلاد سنغاي والهوسا . ومنتجات تلك الأقاليم كانت

(١) نبيلة حسن محمد : مرجع سابق ص ١١٥ .

(٢) Bovill, E . W : Caravans of the old Shara . P 235 .

(٣) urvay, y : Empire du Bornou . P. 112.

تصب في فزان ومنها الذهب الكثير الذى كان عبارة عن تراب الذهب الذى يطلق عليه التبر إضافة إلى غيرها من المنتجات الأخرى (١).

ولقد لعب هذا الطريق الذى يبدأ من طرابلس مار بواحة فزان ثم يتجه جنوبا إلى كوار ثم يسلك اتجاهه داخل سلطنة البولالا وينتهى فى بلاد برنو داخل نيجيريا ثم بعد ذلك يأخذ بعداً آخر غربا إلى بلاد الهوسا وكيبى وسنغاي ثم المراكز التجارية فى تمبكتو وجنى جاو دوراً هاما فى سلسلة المعابر الصحراوية التى استخدمتها القوافل والتى زادت من طبيعة العلاقات بين شمال القارة وبين غربها (٢).

وعلى الرغم من أن طريق فزان- كوار- فترى- كاتم ، له شهرته إلا أنه لم يحرز شهرة ومكانة عالمية كطريق تمبكتو- تغازى أو طريق تمبكو- توات ، إلا أنه كان الطريق الرئيسى الذى يصل سلطنة البولالا بالعالم الخارجى شمالا وشمالا شرقا ، بالإضافة إلى كونه أنه يعد من أكثر الطرق الصحراوية استعمالا وأكثرها مباشرة مع سلطنة فترى- كاتم ومن هنا ذاع صيته وتحكمت فى هذا الطريق وغيرها من الطرق الأخرى قبيلة التيبو التى تسكن شمال فترى غربا ولقد ظل هذا الطريق مفضلا لدى التجار العرب الذين استمروا فى استخدامه (٣) وذلك لأنه كان يمر من واحة كوار إلى سائر بلاد السودان وقد استخدمه غير العرب أيضا من أبناء الطوارق وسكان السودان الأوسط والسودان الغربى والذين فضلوه عن طريق أير- غدامس ولكن تلك الأهمية اضمحلت مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادى نظرا لسوء العلاقات بين طرابلس وبرنو بعد سقوط سلطنة البولالا وعودة كاتم لبرنو- والذى أدى الى تهديد الأتراك الذين كانوا قد سيطروا على ليبيا وهذا الطريق بغزو برنو ، لذلك تحولت الحركة منه إلى الجنوب من مرزق إلى طريق غدامس . اير (٤) .

ولقد كانت تخرج من طرابلس عدة طرق تمر بواحة مرزق فى فزان تاركة زويلة وتعتبر الجانب الشمالى من جبال (تبستى إلى اقليم بحيرة تشاد ) ومنه تتحرك شرقا وغربا داخل أراضي كاتم- برنو ثم تسير إلى تمبكتو إلى محطة النهاية لهذه الطرق بالإضافة إلى أنه من طرابلس فزان كانت تتجمع طرق أخرى تسير هى الأخرى إلى تمبكتو (٥) .

كذلك لعبت برقة أيضا دورا هاما فى حركة مرور القوافل منها إلى الجنوب وقامت

( 1 ) Nachtigal, G : shara and sudan . P 118.

( ٢ ) على أبو بكر : الثقافة العربية فى نيجيريا ص ٣٤ .

( ٣ ) الإدريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق : ص ٤٧ .

( ٤ ) محمد عبد الغنى سعودى : الإتصالات العربية الأفريقية فى العصور القديمة ( فصل ) ص ١٩ .

( ٥ ) محمد عبد الفتاح إبراهيم : أفريقيا من السنغال إلى نهر جوبا . ص ٧٢

بدور كبير في نقل التجارة مع ماذكره ابن حوقل بقوله لقد ساهمت برقه في الحركة التجارية كما ساهمت طرابلس في ذلك الميدان إلا أن شهرة طرابلس في ذلك المجال كانت أكثر . ولقد كانت معابر الصحراء بمثابة مغناطيس جذب إلى بلاد المغرب ( ليبيا ) كتجار أوروبا وملؤا الموانئ كما ملؤا طرق الساحل المغربى من طرابلس شرقا حتى اغادير فى المغرب الأقصى غربا ، ولكن بالرغم من كل هذه الطرق التى كانت تمتد من الشمال إلى الجنوب والتي عرفت منذ القدم إلا أنه كانت تأتى عليها ظروف تتغير من وقت لآخر وذلك لأن استخدام طرق أقصر وأسهل فى العبور وربما نهجر طرق أخرى بسبب قلة المرعى أو بسبب قلة الآبار أو بسبب اختلافات سياسية فى الصحراء ولكن فى كل الطرق القديمة فإنه كانت هناك مشقة فى العثور على الماء والمرعى حيث كان يتوقع العثور على مصادر للمياه عبر الطريق<sup>(١)</sup> وذلك فى الطريق الذى كان يتجه إلى غدامس فى صحراء طرابلس ثم يدخل منها إلى تادمكة وغيرها من بلاد السودان الأوسط والغربى وأيضا فزان وزويلة التى وصفها أحد كتاب العرب بأنها أول حد بلاد السودان فى صحراء طرابلس الشرقية التى يدخل منها مباشرة إلى فترى وكاتم ويزنو ثم غربا إلى جاو وتمبكتو ، ولقد كان ذلك الطريق قبل أن يصل إلى جاو يمر بمدينة تادمكة التى تقع شمال شرق العاصمة جاو وتبعد عنها بحوالى تسعة مراحل بين كل مرحلة استراحة وقد ساهمت منذ القرن السابع عشر الميلادى (الثامن الهجرى ) فى تجارة الصحراء لوقوعها على نهاية الطريق الأوسط الذى يعبر الصحراء الكبرى فأصبحت النهاية الرئيسية لهذا الطريق وقامت تادمكة بدور كبير وتردد عليها التجار وصارت مملكة منذ القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى ، وأصبحت منذ القرن الخامس الهجرى ، الحادى عشر الميلادى ، أحسن من كوكو وقد توسعت جنوبا ، بالرغم من وجود مملكة البولالا ( جوجو ) جاجو الجنوبية إلى جوارها<sup>(٢)</sup> ويبدو أن العلاقات بين سلطنة البولالا ( جاجو ) ومملكة تادمكة قد كانت فى أحسن صورة لها والا لما ترك البولالا تادمكة تنعم بالاستقلال وهذا الرخاء دون وجود روابط وصلات وعلاقة قائمة بين الطرفين ، ومن هنا صارت علاقاتها التجارية منتظمة عبر الصحراء إلى ورجلان وطرابلس غدامس والقيروان حيث كانت ملتقى عدة طرق ، ويبدو أن انتقال أسرة سنغاي الحاكمة إلى الشمال منذ ( القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ) واكتمال قيام مملكة كاتم فى الشرق قد حدد وجود تادمكة كمملكة مستقلة وقد ذكر ابن سعيد ارتباطات تادمكة عبر الصحراء ولكنه جعلها تابعة لدولة كاتم فى فترة سيطرة البولالا على ذلك الإقليم وضمه لسلطنة فترى<sup>(٣)</sup> .

( 1 ) Bovill, E . W . : opcit P . P . 132- 133.

( ٢ ) أحمد الياس حسين : الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى . ص ٢٢٥ .

( ٣ ) ابن سعيد : بسط الأرض فى الطول والعرض . ص ٨٣ .

وفد كان ظهور تكدا وظهور مناجم النحاس بها وحولها فى أماكن كثيرة قد حول اتجاه سير القوافل إلى تكدا لكنه لم يؤدى إلى القضاء التام على تادمكة إذ أنها ظلت سوقا هاما فى القرن العاشر الهجرى السادس عشر اليلادى ، ولقد كانت هناك ظروف اضطرارية تجبر على تغيير الطريق مثلما حدث فى تادمكة وتكدا لأنه لم تكن الحروب أو السرقات لترغم القوافل التجارية والمسافرين عليها عبر تلك المسالك بصفة دائمة على التوقف مرات وهناك احتمال بأن يكون طريق غدامس إر أقل قدما عن طريق تعازة وكلها تؤدى إلى تمبكتو وذلك لأن الطريق الأول يمر عبر طرق صخرية تبرهن مساراتها على قدمه وعلى ثقل الحركة التى دارت فوقه وبعد أن طريقها لم يختلف فيما بعد غدامس وغات<sup>(١)</sup> ولقد كان الطوارق هم المسيطرون سيطرة تامة على الطريق فيما بين غدامس وإير حيث تمر أسوء طرق الصحراء فى العالم حيث تقع منطقة الأحجار فى منتصف الطرق إلى ولكن طريق توات - إير Air الذى اخترقه رصيف الأحجار استطاع أن يصل بذلك الطريق إلى كاتسينا وزاربا وكانو فى بلاد الهوسا غربا ثم إلى جاو تمبكتو وحنى<sup>(٢)</sup> ومع نهاية الحديث عن ذلك الطريق الذى كان يمر عبر أراضى فترى كاتم إلى الشمال ثم يتجه إلى الشمال الشرقى إلى مصر وكذلك يصل فترى بالأماكن الشرقية المجاورة كوادى مثلا ، فإن ذلك الطريق كان يلعب دورا هاما فى حركة العلاقات التجارية الإقتصادية والسياسية والثقافية بين الشمال الأفريقى ليبيا ومصر وغيرها من البلدان المجاورة وبين فترى كاتم وبقية بلاد السودان الأوسط والغربى حقيقة لقد كانت فترى - كاتم فى تلك العصور ( القرن ١٤م - ١٦م ) ملتقى عدة طرق صحراوية للتجارة الدولية وتجارة الصحراء فى السودان الغربى والأوسط مما عوضها عن الثروات التى كانت تفتقدتها مثل الذهب وغيره التى عرفت به الدول المعاصرة والمجاورة مثل غانا وسنغاي ومالى وغيرها من الدول التى كانت بلادها تجود بمناجم الذهب لاستغلالها والسيطرة عليها كما فعلت غانا ومالى وسنغاي فى استقلال هذه المناجم لزيادة ثروتها ، كما أنه لم تكن توجد بها ملاحات استخراج الملح الذى كان يحتاج إليه بشدة فى بلاد السودان الأوسط والغربى ، وهى المصادر التى قامت عليها شهرة واقتصاد هذه الدول ، وقد عرفت عدة طرق قديمة وأصبحت معروفة ومشهورة وقاما بربط جرما بفترى وتشاد<sup>(٣)</sup> وهو الطريق السابق الإشارة إليه وطريق طرابلس فترى - تشاد<sup>(٤)</sup> وقد ساعد على استخدام ذلك الطريق فى يسر وسهولة وجود العديد من الواحات الكثيرة والمنتشرة من الشمال إلى الجنوب وعلى أبعاد

( 1 ) cooley, W. d : opcit . P . 7 .

( 2 ) Bovill, E . W . : opcit . P 298 .

( ٣ ، ٤ ) البرغونى : التاريخ الليبى القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامى . ص ٢٥٩ ، ٣٢٠ .